الزياد
في شـــرح
«لُمعة الاعتقاد»

للشيخ

خالد بن عبد العزيز الباتلي

الأستاذ المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

نسخة معتمدة من الشيخ – حفظه الله –.

النشرة الثانية || ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد؛

فهذا شرحٌ وسيط على متن «لمعة الاعتقاد»، للإمام الموفَّق أبي محمد بن قُدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان أصلُه دروسا أُلقِيت في المسجد، ثم قمت بمراجعتها، وأعملت فيها قلمَ الإصلاح بالزيادة والحذف والتهذيب، ثم قام المكتب العلمي في (أكاديمية بناء العلمية) بتنسيق الشرح وتحقيقه، وذلك بتخريج الآيات والأحاديث، وتوثيق النقول، ونحو ذلك.

وغير خافٍ على القارئ الكريم أن لغة الدرس المُلقى تختلف عن أسلوب الكتاب المؤلَّف، وقد حاولت أن أقرِّب هذا من ذاك قدر المستطاع.

وطريقتي في شرحه أنني قسمت المتن إلى مقاطع، كل مقطع يشكل وحدة موضوعية مستقلة، ثم شرحت هذا المقطع بما يتضمنه من مسائل في تقسيم مرتب، يعين على ضبط أطراف المسائل واستحضارها، وحسن تصورها.

وقبل ذلك مهَّدت للشرح بتمهيد تضَّمن ثلاثة مباحث، هي: «علم العقيدة»، و«أهل السنة والجماعة»، و«التعريف بالمؤلِّف والكتاب».

والله المسؤول أن يزيدنا علما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو حسبنا ونعم الوكيل.

كتبه/ خالد بن عبد العزيز الباتلي

batli٢٨@gmail.com

التمهيد

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: علم العقيدة:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى العقيدة في اللغة والاصطلاح:

العقيدة في اللغة: مأخوذة من العَقْد، وهو الجمع بين أطراف الشيء على سبيل الربط والإحكام والتوثيق.

ويستعمل ذلك في الأشياء الحسِّية، كعقد الحبل، وفي الأشياء المعنوية، كعقد البيع وعقد النكاح؛ لأن الطرفين ارتبطا بعقد على جهة الإحكام والتوثيق[1].

اصطلاحا: الإيمان الجازم الذي لا يتطرَّق إليه شك.

فكأنَّ الإنسان عقد قلبَه عليه، فهي عقدة راسخة مستقرة.

وقد تكون هذه العقيدة صحيحة؛ كمن يعتقد أن الله واحد لا شريك له، وأن الجنة والنار حق. وقد تكون باطلة كمن يعتقد أن المسيح عيسى ابنُ الله!.

---

(١) ينظر: «مقاييس اللغة» (٤/٨٦).

والعقيدة تجمع على عقائد، ويعبر عنها بالمُعتقَد والاعتقاد.

والعقيدة الإسلامية يمكن إيجازها في أركان الإيمان؛ فهي: الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

المطلب الثاني: أسماء علم العقيدة:

الأول: العقيدة (الاعتقاد).

ووقع هذا الاسم في مصنفات عدد من الأئمة، مثل: «عقيدة السلف أصحاب الحديث» للصابوني (٤٤٩هـ)، و«الاعتقاد» للبيهقي (٤٥٨هـ)، و«لمعة الاعتقاد» للموفَّق ابن قدامة، و«العقيدة الواسطية» لابن تيمية.

الثاني: التوحيد.

ومنه «كتاب التوحيد» لابن خزيمة (٣١١ هـ)، وابن منده (٣٩٥ هـ).

الثالث: الإيمان.

ومنه: «كتاب الإيمان» لأبي عُبيد (٢٢٤ هـ)، وابن منده (٣٩٥ هـ).

الرابع: الشريعة.

ومنه: «كتاب الشريعة» للآجري (٣٦٠ هـ).

الخامس: السُّنة.

ومنه: «كتاب السنة» للإمام أحمد (٢٤١هـ)، وابنه عبد الله (٢٩٠هـ)، وابن أبي عاصم (٢٨٧ هـ)، والخلَّال (٣١١ هـ)، وغيرهم.

السادس: أصول الدين.

ومنه: «الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة» لأبي عبد الله ابن بطة (٣٨٧ هـ)، و«الإبانة عن أصول الديانة» لأبي الحسن الأشعري (٣٢٤ هـ).

السابع: الفقه الأكبر.

واشتهر نسبة كتاب «الفقه الأكبر» إلى أبي حنيفة، لكن لم تصح نسبته إليه كما قرره بعض الباحثين[١].

هذه أسماء هذا العلم عند أهل السنة والجماعة، وله أسماء عند غيرهم، منها:

علم الكلام، والفلسفة، والإلهيات، والميتافيزيقيا (ما وراء الطبيعة).

المطلب الثالث: أهمية علم العقيدة:

تظهر أهمية علم العقيدة من جهات كثيرة؛ منها:

أولا: أنه يتعلَّق بأعظم عظيم، وأكمل موصوف، بالله الحي القيوم – سبحانه –. ثم بصفوة خلق الله أجمعين، وهم الرسل والملائكة. ثم بمآل العباد إلى نعيم أو جحيم، ولأجل هذا سمَّاه السلف الفقه الأكبر، وكما قيل: شرف العلم بشرف معلومه.

(١) ينظر: «براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة» د. عبد العزيز الحميدي، ص٤٦.

ثانيا: اتفاق دعوة الرسل على أصله، فكل رسول قال لقومه: ﴿**ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ**﴾ [الأعراف: ٥٩] ومواضع أخرى، وقال تعالى: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ثالثا: تنويه النبي ﷺ بفضله وأهميته في أحاديث كثيرة؛ منها:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سُئل رسول الله ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**»(١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ بعث معاذا إلى اليمن، فقال: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ - تَعَالَى -، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ**..»(٢).

وبالنظر إلى سيرة النبي ﷺ العملية؛ نرى أنَّه مكث ثلاث عشرة سنة في مكة يقرر أصول العقيدة.

رابعا: أن طريق النجاة والسعادة في الدارين بتحقيقه كما أراد الله من عباده.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٣٧٢) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٩).

المطلب الرابع: حكم تعلُّم علم العقيدة:

الأصل أنه واجب على كل مسلم ومسلمة، أن يتعلم ما لا يصح الإيمان إلا به؛ كالإيمان بأركان الإيمان الستة على وجه مُجمل.

وهو أول الواجبات؛ لحديث بَعْث معاذ السابق، وفيه: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ - تَعَالَى -**»[1].

وما زاد على ذلك من تفاصيل المسائل والأدلة، والردود ونحو ذلك ففرضُ كفاية.

المبحث الثاني: أهل السنة والجماعة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى السنة والجماعة:

السنة في اللغة: الطَّريقة والسِّيرة، حسنة كانت أم قبيحة[2].

وفي اصطلاح علماء العقيدة الإسلامية: الهَدْي الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابُه؛ علما واعتقادا، وقولا، وعملا.

وهي السنة التي يجب اتباعها، ويُحمَد أهلُها، ويُذَمُّ من خالفها.

وتُطلق السنة على ما يقابل البدعة.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ينظر: «النهاية» (٢/٤٠٩).

والجماعة في اللغة: مأخوذة من الاجتماع، وهو ضد التفرق[1].

وفي اصطلاح علماء العقيدة الإسلامية: هم سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، الذين اجتمعوا على الحق من الكتاب والسنة.

فيكون أهل السنة والجماعة: هم من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابُه.

وهم الصحابة، والتابعون، وأئمة الهدى المُتَّبِعون لهم، والذين استقاموا على الاتِّباع وابتعدوا عن الابتداع في أي مكان وفي أيِّ زمان، وهم باقون منصورون إلى يوم القيامة.

وسمُّوا بذلك (**أهل السنة والجماعة**)؛ لتمسُّكِهم بسنة النبي ﷺ، واجتماعهم على الأخذ بها في القول، والعمل، والاعتقاد.

وهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة. ويسمون بالسلف، والنسبة إليهم سلفي.

وهذا اللفظ (السلف) يطلق على معنيين:

الأول: معنى خاص: ويراد به صدر هذه الأمة، والسلف هم الذين سَلَفُوا وسبقُوا.

---

(١) ينظر: «تهذيب اللغة»، مادة «جمع» (١/ ٢٥٥).

فالسلف هم خيار هذه الأمة في القرون الثلاثة الفاضلة: الصحابة، والتابعون، وأتباعهم.

الثاني: معنى عام: ويراد به من التزم منهجهم وسار على طريقتهم، ولو كان معاصرا، فهو سلفِيٌّ، بمعنى أنه على نهج السلف.

المطلب الثاني: خصائص عقيدة أهل السنة والجماعة:

أولا: سلامة مصدر التلقي:

وذلك باعتمادها على الكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح، فهي نقية المصدر، ترتبط بالوحي؛ ولذا يقال: العقائد توقيفية.

فلا تعتمِد عقيدةُ أهل السنة والجماعة على عقل البشر، ولا أذواقهم، ولا كشفهم، ولا مناماتهم.

ثانيا: موافقة الفطرة القويمة، والعقل السليم:

فهي سالمة من الاضطراب والتناقض واللَّبس، ولا غَرو فهي من لَدُن حكيم خبير.

ثالثا: الشُّمولية:

فهي شاملة لكل متطلبات النفس والروح والعقل، شاملة لكل البشر، شاملة لكل زمان.

رابعا: الوسطية:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هم الوسط في فِرَق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم: فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة. وهم وسط في باب أفعال الله - تعالى - بين القدرية والجبرية. وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية، من القدرية وغيرهم. وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج»[1].

المبحث الثالث: التعريف بالمؤلف والكتاب.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترجمة المؤلف:

هو الشيخ الإمام العلامة موفَّق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدسي.

ولد سنة ٥٤١هـ في بلدة (جمَّاعيل) قرب نابلس، وتوفي في دمشق سنة ٦٢٠هـ، ودفن في جبل قاسيون.

حفظ القرآن دون سن البلوغ، وحفظ مختصر الخرقي، وتعلم أصول الدين.

---

(١) «العقيدة الواسطية» ص٨٢.

رحل إلى دمشق حينما احتل الصليبيون فلسطين، ورحل إلى بغداد؛ لطلب العلم، ومكث بها أربع سنين مع ابن خالته الشيخ عبد الغني المقدسي صاحب «عمدة الأحكام».

له تصانيف كثيرة منها:

- في العقيدة: «القَدَر»، و«ذم التأويل»، و«لُمعة الاعتقاد»، وغيرها.
- في الفقه: «المُغنِي» - وهو أشهرها، حتى صار يعرف به -، و«الكافي»، و«المقنِع»، و«العمدة».
- في الأصول: «روضة الناظر».
- في الرقائق وتزكية النفس: كتاب «التوابين».

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفَّق»[1].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شيخ الإسلام، إمام عالم بارع، لم يكن في عصره ولا قبل دهره بمُدَّة أفقه منه»[2].

ووصفه الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه: «كان من بحور العلم، وأذكياء العالم»[3].

---

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٣/ ٢٨٦).

(٢) «البداية والنهاية» (١١٧/١٧).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٤٩).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اتفقت الطوائف على قبوله، وتعظيمه، وإمامته»[1].

يُعد من كبار علماء الحنابلة، وممن حقَّق المذهب وخدمه خدمة جليلة.

وافق عصرُه أن حكمت الدولة الأيوبية الشام، وكانت على طريقة الأشاعرة في العقيدة. وفي مصر تحكم الدولة العبيدية الرافضية التي قضى عليها صلاح الدين الأيوبي.

ومن مناقبه أنه جمع بين العلم والجهاد؛ فقد كان مشاركا لصلاح الدين الأيوبي في جيوش الإسلام؛ لتحرير فلسطين في شهر المحرم سنة ٥٨٣هـ، فكان الشيخ في مقدمة تلك الجيوش.

المطلب الثاني: التعريف بالكتاب:

- **اسمه:**

المشهور أن اسمه: «لُمعَة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد»، وبعضهم يختصره فيقول: الاعتقاد.

واللُّمعَة في اللغة: لها معانٍ؛ منها[2]:

الأول: البُلغة من العيش.

---

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية» ص١١٥.

(٢) ينظر: «الصحاح» (٣/ ١٢٨١).

الثاني: من اللَّمعان، وهو البريق.

فهذا المتن بُلْغة كافية من الاعتقاد الصحيح على مذهب السلف، وهي تبرُق وتلمَع؛ لصفائها وجَودتها على غيرها من العقائد المظلمة.

- **مزايا المتن:**

تتميز هذه اللُّمعة بأمور:

الأول: جلالة مصنِّفها.

الثاني: الاختصار؛ ولذا يبدأ بها طالبُ العلم في سُلَّم دراسة علم العقيدة.

الثالث: أنها على منهج أهل السنة والجماعة في الجملة.

- **مضمون المتن:**

يمكن عرض محتوى هذا المتن في النقاط الآتية:

الأولى: المنهج الصحيح في أسماء الله وصفاته.

الثانية: الترغيب في السنة، والتحذير من البدعة.

الثالثة: ذكر نماذج من صفات الله – تعالى – بأدلتها.

الرابعة: رؤية الله – تعالى – في الآخرة.

الخامسة: القضاء والقدر.

السادسة: الإيمان.

السابعة: أشراط الساعة واليوم الآخر.

الثامنة: حقوق النبي ﷺ وأصحابه.

التاسعة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين.

العاشرة: هجر أهل البدع، وترك الخصومات في الدين.

الحادية عشرة: أشهر الفرق البدعية، والموقف من الاختلاف في الفروع.

المقطع الأول

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

«الحَمْدُ للهِ المحمُودِ بِكُلِّ لِسانٍ، المَعْبُودِ فِي كُلِّ زَمانٍ، الَّذِي لا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكانٌ، ولا يَشْغَلُه شَأْنٌ عَنْ شَأنٍ، جلَّ عَنِ الأَشْباهِ وَالأنْدادِ، وتَنَزَّهَ عَنِ الصَّاحِبَةِ والأَوْلادِ، ونَفَذَ حُكْمُهُ فِي جَمِيْعِ العِبادِ. لا تُمَثِّلُهُ العُقُولُ بِالتَّفْكِيْرِ، وَلا تَتَوَهَّمُهُ القُلُوبُ بِالتَّصْوِيْرِ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالصِّفاتُ العُلى، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٥-٧]، ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢]، وقَهَرَ كلَّ مخلوقٍ عِزَّةً وحُكْمًا، وَوَسِعَ كلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، مَوْصُوفٌ بِما وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتابِهِ العَظِيْمِ، وَعَلى لِسانِ نَبِيِّهِ الكَرِيْمِ.

الشرح:

تضمن هذا المقطع أربع مسائل:

المسألة الأولى: البدء بالبسملة.

وهذا الابتداء اقتداء بكتاب الله العظيم، واتباعا لسنة رسوله الكريم ﷺ، فإنه كتب إلى هِرَقْلَ كتابا، جاء فيه: «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ** ...»[1]. وأيضا كان من هدي المرسلين، كما في كتاب سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بلقيسَ ملكةِ سبأ: ﴿**إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ**﴾ [النمل: ٣٠].

- **معنى البسملة:**

(بِسْمِ): الجار والمجرور متعلِّقٌ بمحذوف فعل مؤخَّر مناسب للمقام، فعندما تريد أن تقرأ تُقدِّر: بسم الله أقرأُ، وعندما تريد أن تتوضَّأ تُقدِّر: بسم الله أتوضَّأُ، وعندما تريد أن تذبحَ تُقدِّر: بسم الله أذبحُ، وهنا يقدَّر: بسم الله أكتب أو أؤلِّف.

فمعنى قول (بِسْمِ اللهِ): أي أفعل الشيء مستعينا بالله، ومتبركا بكل اسم من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومعنى (الله): المألوه، أي: المعبود حُبًّا وتعظيما.

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ومن أسمائه أيضا: (الرَّحْمَن) ذو الرحمة الواسعة، و(الرَّحِيْم) الموصل رحمته إلى من شاء من خلقه. فالفرق بين الرحمن والرحيم: أن الأول باعتبار كون الرحمة وصفا له، والثاني باعتبارها فعلا له يوصلها إلى من شاء من خلقه.

واسم (الله) و(الرحمن) من الأسماء الخاصة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، التي لا يسمَّى بها غيره.

المسألة الثانية: الثناء على الله – تعالى –.

أثنى المؤلف على الله بالحمد في قوله: (**الحَمْدُ لِلَّهِ**)، والحمد: ذكر أوصاف المحمود الكاملة باللِّسان، مع المحبة والتعظيم. و(**أل**) في الحمد للاستغراق، أي: استغراق جميع أنواع المحامد لله – تعالى –.

فالحمد: ذكر الكمالات، والتسبيح: التنزيه عن النقائص.

وأما المدح: فلا يلزم أن يكون معه محبةٌ وتعظيم، كمن يمدح أميرا؛ خوفا منه، أو طلبا للمال، وهو يبغضه.

وكان النبي ﷺ يفتتح خُطَبه بالحمد، كما قال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كانتْ خُطْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَحْمَدُ اللَّهَ، وَيُثْنِي عَلَيهِ**»(١).

وبيَّن المؤلف أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (**مَحْمُودٌ بِكُلِّ لِسَانٍ**) أي: مستحق، وجائز أن يُحمد بكل لغة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٨٦٧).

و(مَعْبُودٌ بِكُلِّ زَمَانٍ)، أي: يعبد في كل زمان. وذكر أهل العلم أن العبادة نوعان:

الأول: عبادة كونية: ومعناها الخضوع لأمر الله الكوني، وهذه شاملة وعامة لجميع المخلوقات؛ ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، فالجميع عبيدٌ لله بهذا المعنى، سائرون تحت تصرفه وملكه، يدبرهم كيف يشاء، لا يخرج أحد منهم عما أراده الله وقضاه.

النوع الثاني: عبادة شرعية: وهي الخضوع لأوامر الله بالامتثال، ولنواهيه بالانتهاء والاجتناب، وهذه هي العبادة المطلوبة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[الفرقان: ٦٣].

ثم أثنى عليه - تعالى - بسعة علمه وشموله، فقال: (لَا يَخْلُو مِن عِلْمِهِ مَكَانٌ)، فهو عالم بما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون؟، ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[سبأ: ٣].

ثم أثنى عليه بكمال قدرته وشهوده وإحاطته وقيُّوميَّته، فقال: (وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ)، فهو - سبحانه - لا يشغله شأن عن شأن، ولا تشتبه عليه الأصوات، ولا تختلف عليه اللغات، على تعدد الحاجات، ولا يُبْرِمُه إلحاحُ المُلِحِّين، ولا تُضْجِرُه مسألة السائلين.

وأثنى عليه بتمام سلطانه ونفوذِ حكمه، فقال: (وَنَفَذَ حُكْمُهُ فِي جَمِيعِ العِبَادِ)، والمراد الحكم القدَري الكوني النافذ في كل أحد، ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ [الرعد: ٤١]، ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

والحكم الكوني: هو ما قدَّر الله – تعالى – أنه سيقع، وهذا لا بد أن يقع من غير أن يستلزم محبته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. فقد يحكم الله – كونا – بوقوع ما لا يرضاه شرعا؛ لحكمة يعلمها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ككفر الكافر، ومعصية العاصي.

وأما الحكم الشرعي: فهو ما أمر اللهُ العبادَ أن يفعلوه، وهذا يستلزم المحبة، ولا يستلزم الوقوع؛ إذ قد يقع وقد لا يقع، فقد أمر الله أبا جهل بالإيمان شرعا، ولم يؤمن كونا وقدرا.

المسألة الثالثة: تنزيه الله – تعالى –.

نزَّه المؤلِّفُ اللهَ – تعالى – (عَنْ الأَشْبَاهِ وَالأَنْدَادِ)، والأشباه: جمع شبيه، والأنداد: جمع نِدٍّ، وهو: المِثل والنظير.

فالله – تعالى – لكماله وجلاله عَظُمَ وجَلَّ وتنزه عن كل ندٍّ ومماثل، سواء كان في الربوبية، أو في الألوهية، أو في الأسماء والصفات، ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥].

ونَزَّه اللهَ - تعالى - (عَنْ الصَّاحِبَةِ وَالأَوْلَادِ)، والصاحبة: الزوجة، كما قال مؤمنو الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]، وقال تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

ونَزَّه الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عن أن تصل العقول والقلوب إلى تخيُّل مثيل له، أو تَوهُّم صورة له تعالى وتقدَّس، فقال: (لَا تُمَثِّلُهُ العُقُولُ بِالتَّفْكِيرِ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ القُلُوبُ بِالتَّصْوِيرِ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾)، فالعقول والقلوب مهما بلغت ذكاءً ونبوغا تتقاصر عن ذلك؛ لأن الله - تعالى - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، وهذا يشير إلى قاعدة في صفات الله - تعالى - أن كيفيتها لا تُعرف، وسيأتي بيان ذلك.

المسألة الرابعة: إثبات الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

وهذا من الثناء، لكن أفردناه؛ لأن المؤلف استطرد فيه، ولأنه من مقاصد المتن.

ومن المناسب والمهم أن نمهِّد لهذا الباب بـ:

قواعد تأصيلية في باب الأسماء والصفات[1]:

القاعدة الأولى: منزلة تعلُّم الأسماء والصفات.

الإيمان بأسماء الله وصفاته أحد الأركان الأربعة للإيمان بالله – تعالى –: الإيمان بوجود الله – تعالى –، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته.

وتوحيد الله في أسمائه وصفاته أحد أقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. فمنزلته في الدين عالية، وأهميته عظيمة، ولا يمكن أحدًا أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على عِلم بأسماء الله – تعالى – وصفاته؛ ليعبده على بصيرة، قال الله – تعالى –: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا**﴾[الأعراف:١٨٠]، وهذا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة: أن تقدِّم بين يدي مطلوبك من أسماء الله – تعالى – ما يكون مناسبا، مثل أن تقول: يا غفور اغفر لي، ويا رحيم ارحمني، ونحو ذلك.

ودعاء العبادة: أن تتعبد لله بمقتضى هذه الأسماء، فتسارع إلى التوبة إليه؛ لأنه التواب، وتخشاه في السر؛ لأنه الرقيب الشهيد.

---

(١) غالبها مستفاد من «القواعد المثلى» للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فعلى المسلم أن يعتني بهذا العلم الشريف، ويتفقَّه في أسماء الله وصفاته؛ فهذا مما يزيد الإيمان رسوخا، وشرف العلم بشرف مضمونه.

القاعدة الثانية: أسماء الله – تعالى – كلها حسنى.

أي بالغة في الحسن غايته؛ لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه قال الله – تعالى –: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ**﴾ [الأعراف: ١٨٠].

مثال ذلك: (الرحمن) فهو اسم من أسماء الله – تعالى –، دالٌّ على صفة عظيمة هي الرحمة الواسعة.

ومِن ثَم نعرف أنه ليس من أسماء الله: (الدَّهر)؛ لأنه لا يتضمن معنى يبلغ غاية الحسن، وأما قوله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**»(١)، فمعناه: مالِكُ الدهر المتصرف فيه، بدليل قوله في الرواية الثانية عن الله – تعالى –: «**بِيَدِيَ الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»(٢).

القاعدة الثالثة: أسماء الله – تعالى – أعلام وأوصاف:

فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦١٨١) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٢٤٦)، واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٨٢٦، و٧٤٩١). ومسلم (٢٢٤٦)، بلفظ «**أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا**».

وهي بالاعتبار الأول مترادفة؛ لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله – عز وجَلَّ –. وبالاعتبار الثاني متباينة؛ لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص.

فالحي، والعليم، والقدير، والسميع، والبصير، والرحمن، والرحيم، والعزيز، والحكيم = كلها أسماء لمسمى واحد، هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا.

وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف؛ لدلالة القرآن عليها، كما في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ**﴾ [يونس: ١٠٧]، وقوله: ﴿**وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ**﴾ [الكهف: ٥٨]، فإن الآية الثانية دلت على أنَّ الرحيم هو المتصف بالرحمة، ولإجماع أهل اللغة والعُرف أنه لا يقال: عليم إلا لمن له عِلمٌ، ولا سميع إلا لمن له سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر. وهذا أمر أبْيَن من أن يحتاج إلى دليل.

القاعدة الرابعة: دلالة أسماء الله – تعالى –:

أسماء الله – تعالى – إن دلت على وصف متعدٍّ تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله – عز وجل –.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله – عز وجل –.

الثالث: ثبوت حكمِها ومقتضاها.

مثال ذلك: (السميع) يتضمن إثبات السميع اسما لله – تعالى –، وإثبات السمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السِّرَّ والنَّجْوى، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١]

وإن دلت على وصف غير متعدٍّ تضمنت أمرين:

أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله – عز وجل –.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله – عز وجل –.

مثال ذلك: (الحي) يتضمن إثبات الحي اسما لله – عز وجل –، وإثبات الحياة صفة له.

القاعدة الخامسة: أسماء الله – تعالى – توقيفية، لا مجال للعقل فيها:

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يُزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣]، ولأن

تسميته – تعالى – بما لم يُسَمِّ به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه؛ جناية في حقه – تعالى –، فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص.

القاعدة السادسة: أسماء الله – تعالى – غير محصورة بعدد معين:

لقوله ﷺ في الحديث المشهور: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ** ...»(١).

وما استأثر الله – تعالى – به في علم الغيب لا يمكن أحدًا حصرُه ولا الإحاطة به.

وأما قوله ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(٢).

فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة: «إن أسماء الله تسعةٌ وتسعون اسما، من أحصاها دخل الجنة»، أو نحو ذلك.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده (٣٧١٢)، وابن حبان في صحيحه (٩٧٢)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٧٣٦) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٦٧٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إذن، فمعنى الحديث: أن هذا العدد من شأنه أنَّ من أحصاه دخل الجنة. وعلى هذا فيكون قوله: «**مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**» جملةً مكمِّلة لما قبلها، وليست مستقلة.

ونظير هذا أن تقول: عندي مئة درهم أعددتها للصدقة؛ فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تُعِدَّها للصدقة.

ولم يصحَّ عن النبي ﷺ تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيف(١).

القاعدة السابعة: الحذر من الإلحاد في أسماء الله- تعالى -:

عملا بقوله تعالى ﴿**وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ**﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والإلحاد في اللغة: الميل، ومنه اللَّحْد في القبر(٢).

والمراد به في باب الأسماء: الميل بها عما يجب فيها.

والإلحاد في أسماء الله – تعالى – أربع صور:

الأولى: أن ينكر شيئا منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم. وإنما كان ذلك إلحادا؛ لوجوب الإيمان بها

(١) ينظر: سنن الترمذي (٣٥٠٧)، وابن ماجه (٣٨٦١).

(٢) ينظر: «لسان العرب» (٣/٣٨٨)، مادة (لحد).

وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله، فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها.

الثانية: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين، كما فعل أهل التشبيه. وذلك؛ لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدُل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه، فجَعْلُها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها.

الثالثة: أن يُسَمَّى الله – تعالى – بما لم يُسَمِّ به نفسه، كتسمية النصارى له: (الأب)، وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة). وذلك؛ لأن أسماء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ توقيفية، فتسمية الله – تعالى – بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة، يُنَزَّه الله – سبحانه – عنها.

الرابعة: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق (العزى) من العزيز، واشتقاق (اللات) من الإله على أحد القولين، فسَمَّوا بها أصنامهم. وذلك؛ لأن أسماء الله – تعالى – مختصة به، لقوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا**﴾[الأعراف: ١٨٠]، وقوله: ﴿**ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ**﴾ [طه: ٨]، وقوله: ﴿**لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾[الحشر: ٢٤]، فكما اختص بالعبادة وبالألوهية الحقة، وبأنه يسبح له ما في السماوات والأرض، فهو مختص بالأسماء الحسنى، فتسمِيَة غيره بها على الوجه الذي يختص بالله – عز وجل – ميل بها عما يجب فيها.

والإلحاد بجميع أنواعه محرَّم؛ لأن الله – تعالى – هَدَّدَ الملحدين بقوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ١٨٠]، ومنه ما يكون شركا أو كفرا حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية.

القاعدة الثامنة: صفات الله – تعالى – كلها صفات كمال:

أي: لا نقص فيها بوجه من الوجوه؛ كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى.

وتوعَّد الله من وصفه بالنقص، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

القاعدة التاسعة: باب الصفات أوسع من باب الأسماء:

وذلك: لأن كل اسم متضمِّن لصفة كما سبق، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله – تعالى –، وأفعالُه لا منتهى لها.

ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله - تعالى -: المجيء، والإتيان، والأخذ، والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١١]، وقال: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [الحج: ٦٥]، وقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ**»(١).

فنَصِف الله - تعالى - بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول: إن من أسمائه الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، والمُريد، والنازل، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به.

القاعدة العاشرة: صفات الله - تعالى - تنقسم إلى قسمين: ثبوتية، وسلبية:

فالثبوتية: ما أثبت الله - تعالى - لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه؛ كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١١٤٥) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فيجب إثباتها لله - تعالى - حقيقة على الوجه اللائق به.

والصفات السلبية: ما نفاها الله - سبحانه - عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص في حقه؛ كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب. فيجب نفيها عن الله - تعالى - مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل.

وذلك؛ لأن ما نفاه الله - تعالى - عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضِدِّه لا لمجرد نفيه؛ لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال؛ إذ النفي عدم، والعدم ليس بشيء فضلا عن أن يكون كمالا، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له، فلا يكون كمالا، كما لو قلت: الجدار لا يظلم، وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصا، كما في قول الشاعر:

قُبَيِّلَةٌ لا يغدِرُون بذِمَّة ... ولا يظلِمُونَ الناس حَبَّة خرْدَلِ

وقول الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب ... ليسُوا من الشَّرِّ في شيء، وإن هانا

ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨]، فنفي الموت عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ متضمن كمال حياته.

ومثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، فنفي الظلم عنه متضمن كمال عدله.

ومثال ثالث: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤]، فنفي العجز عنه متضمن كمال علمه وقدرته؛ ولهذا قال بعده: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾؛ لأن العجز سببه: إما الجهل بأسباب الإيجاد، وإما قصور القدرة عنه، فلكمال علم الله – تعالى – وقدرته لم يكن ليعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض.

وبهذا المثال علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمن أكثرَ من كمال.

القاعدة الحادية عشر: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية، وفعلية:

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها؛ كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والعزة، والحكمة، والعُلُوِّ، والعظمة، والحياة. **ومنها الصفات الخبرية: كالوجه، واليدين، والعينين.**

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعَلْها؛ كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين؛ كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأن الله – تعالى – لم يزل ولا يزال متكلما. وباعتبار آحاد الكلام صفة

فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس: ٨٢]، وكل صفة تعلقت بمشيئته – سبحانه – فإنها تابعة لحكمته.

القاعدة الثانية عشرة: المحذور في باب الصفات:

يجب التخلي عن محذورين عظيمين: أحدهما: التمثيل، والثاني: التكييف.

١- **فالتمثيل**: هو اعتقاد المثبِت أن ما أثبته من صفات الله – تعالى – مماثل لصفات المخلوقين.

وهذا اعتقاد باطل؛ لقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورى:١١]، وقوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[الإخلاص: ٤].

- **فائدة**: التشبيه كالتمثيل، وقد يفرَّق بينهما بأن التمثيل: التسوية في كل الصفات، والتشبيه: التسوية في أكثر الصفات، لكن التعبير بنفي التمثيل أولى؛ لموافقة لفظ القرآن: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورى:١١].

٢- **والتكييف**: هو أن يعتقد المثبِت أن كيفية صفات الله – تعالى – كذا وكذا، من غير أن يقيِّدها بمماثل.

وهذا اعتقاد باطل؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾[طه:١١٠]، وقوله: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾[الإسراء: ٣٦]، ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه - تعالى - أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تكييفُنا قَفْوا لما ليس لنا به علم، وقولا بما لا يمكننا الإحاطة به.

ولهذا لما سُئِل مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟، أطرق رَحِمَهُ ٱللَّهُ برأسه حتى علاه الرُّحَضاءُ (أي: العرق)، ثم قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[1].

القاعدة الثالثة عشر: طُرُق إثبات صفات الله - تعالى -:

صفات الله - تعالى - توقيفية لا مجال للعقل فيها، فلا نثبت لله - تعالى - من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يُتجاوز القرآن والحديث»[2].

وثبوت الصفة يكون بأحد ثلاثة أوجه:

الأول: التصريح بالصفة؛ كالعزة، والقوة، والرحمة، والبطش، والوجه، واليدين، ونحوها.

---

(١) ينظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٣٠٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٦).

الثاني: تضمن الاسم لها؛ مثل: الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع، ونحو ذلك.

الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها، مثل:

١- الاستواء على العرش؛ لقوله تعالى: ﴿**ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ**﴾[طه:٥].

٢- النزول إلى السماء الدنيا، لقول النبي ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**»(١).

٣- المجيء للفصل بين العباد يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿**وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا**﴾ [الفجر: ٢٢].

٤- الانتقام من المجرمين؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ**﴾ [السجدة: ٢٢].

القاعدة الرابعة عشر: نصوص الصفات معلومة المعنى، مجهولة الكيفية:

ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار، ومجهولة لنا باعتبار آخر، فباعتبار المعنى هي معلومة. وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة.

وقد دل على ذلك السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿**كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ**﴾ [ص: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ**﴾ [الزخرف: ٣]،والتدَبُّر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه.

---

(١) تقدم تخريجه.

وكون القرآن عربيا ليعقله من يفهم العربية، يدل على أن معناه معلوم، وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها.

ونفي الكيفية سبق في القاعدة الثانية عشرة.

القاعدة الخامسة عشر: ضابط الأسماء الحسنى:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يُدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها»(١).

وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠](٢).

القاعدة السادسة عشر: الفرق بين الاسم والصفة:

يمكن التمييز بينهما من خلال أمور، منها:

أولا: أن الأسماء يشتق منها صفات، أما الصفات فلا يشتق منها أسماء، فنشتق من أسماء الله (الرحيم، والقادر، والعظيم) صفات (الرحمة، والقدرة،

(١) «شرح العقيدة الأصفهانية» ص١٩.

(٢) ينظر: «معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى» لمحمد التميمي ص٢١، وقد أفاض في شرح التعريف.

والعظمة)، لكن لا نشتق من صفات (الإرادة، والمجيء، والمكر) اسم (المريد، والجائي، والماكر).

فأسماؤه سبحانه وتعالى أوصاف؛ كما قال ابن القيم في (النونية):

أسماؤُهُ أوْصافُ مَدْحٍ كُلُّها مُشْتَقَّةٌ قَدْ حُمِّلَتْ لِمَعانِ[1]

ثانيا: أن الاسم لا يُشتق من أفعال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ فلا نشتق من كونه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يحب ويكره ويغضب، اسم المُحِب والكاره والغاضب.

أما صفاته؛ فتُشْتق من أفعاله؛ فنثبت له صفة المحبة والكره والغضب ونحوها من تلك الأفعال؛ لذلك قيل: باب الصفات أوسع من باب الأسماء.

ثالثا: أن أسماء الله - عَزَّ وجَلَّ - وصفاته تشترك في جواز الحلف بها، لكن تختلف في التعبيد والدُّعاء، فيُعبَّد بالأسماء دون الصفات، فنقول: عبد الكريم، وعبد الرحمن، وعبد العزيز، ولا يُعبَّد بصفاته؛ فلا نقول: عبد الكَرَم، وعبد الرحمة، وعبد العِزَّة؛ كما أنه يُدعى اللهُ بأسمائه، فنقول: يا رحيم ارحمنا، ويا كريم أكرمنا، ويا لطيف الطُف بنا، لكن لا ندعو صفاته؛ فنقول: يا رحمة الله ارحمينا! أو: يا كرم الله، أو: يا لطف الله! ذلك أن الصفة ليست هي الموصوف؛ فالرحمة ليست هي الله، بل هي صفةٌ لله، وكذلك العزة، وغيرها، فهذه صفات

(١) «الكافية الشافية» البيت رقم (٣٤٢٥).

لله، وليست هي الله، ولا يجوز التعبيد إلا لله، ولا يجوز دعاء غير الله؛ لقوله تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وغيرها من الآيات.

ووُجِّه سؤال إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن الفَرق بين الاسم والصفة؟ فأجابت بما يلي: «أسماء الله: كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به؛ مثل: القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير؛ فإن هذه الأسماء دلَّت على ذات الله، وعلى ما قام بها من العلم، والحكمة، والسمع، والبصر. أما الصفات: فهي نُعوت الكمال القائمة بالذات؛ كالعلم، والحكمة، والسمع، والبصر؛ فالاسم دلَّ على أمرين، والصفة دلَّت على أمر واحد، ويقال: الاسم متضمِّن للصفة، والصفة مستلزمة للاسم ...»[1].

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٣/ ١٦٠).

المقطع الثاني

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَكُلُّ ما جاءَ فِي القُرْآنِ أَوْ صَحَّ عَنِ المُصْطَفَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مِنْ صِفاتِ الرَّحْمٰنِ وَجَبَ الإِيْمانُ بِهِ وتَلَقِّيهِ بالتَّسْلِيْمِ والقَبُولِ، وتَرْكِ التَّعَرُّضِ لَهُ بالرَّدِّ والتَّأْوِيْلِ، والتَّشْبِيْهِ والتَّمْثِيْلِ.

وَما أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ وَجَبَ إِثْباتُهُ لَفْظًا، وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمَعْناهُ، وَنَرُدُّ عِلْمَه إِلىٰ قائِلِهِ، وَنَجْعَلُ عُهْدَتَهُ علىٰ ناقِلِهِ؛ اتِّباعًا لِطَرِيقِ الرَّاسِخِيْنَ فِي العِلْمِ، الَّذِيْنَ أَثْنَىٰ اللهُ علَيْهِمْ فِي كِتابِهِ المُبِيْنِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿**وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا**﴾ [آل عمران:٧]، وَقالَ فِي ذَمِّ مُبْتَغِي التَّأْوِيلِ لِلْمُتَشابِهِ تَنْزِيلِهِ: ﴿**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ**﴾ [آل عمران:٧]، فَجَعَلَ ابْتِغاءَ التَّأْوِيلِ عَلامَةً عَلى الزَّيْغِ وقَرَنَهُ بابْتِغاءِ الفِتْنَةِ فِي الذَّمِّ، ثُمَّ حَجَبَهُمْ عَمَّا أَمَّلُوهُ، وقَطَعَ أَطْماعَهُمْ عمَّا قَصَدُوْهُ، بِقَوْلِهِ تَعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران:٧].

قالَ الإِمامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَىٰ سَماءِ الدُّنْيَا**»(١)، و«**إِنَّ اللهَ يُرىٰ فِي القِيامَةِ**»(٢)، وَما أَشْبَهَ هٰذِهِ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ينظر: صحيح البخاري (٤٥٨١)، و مسلم (١٨١).

الأَحادِيْثَ، قالَ: (نُؤْمِنُ بِها وَنُصَدِّقُ بِها، لَا كَيْفَ ولَا مَعْنَىٰ ولا نَرُدُّ شَيْئًا مِنْها، ونَعْلَمُ أنَّ ما جاءَ بِهِ الرَّسولُ ﷺ حَقٌّ، ولا نَرُدُّ عَلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلا نَصِفُ اللهَ بأَكْثَرَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، بِلا حَدٍّ ولا غايَةٍ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]. ونَقُولُ كَما قالَ، ونَصِفُهُ بِما وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، لا نَتَعَدَّىٰ ذَلِكَ، وَلا يَبْلُغُهُ وَصْفُ الواصِفِينَ، نُؤْمِنُ بالقرآنِ كُلِّهِ مُحْكَمِهِ ومُتَشابِهِهِ ولا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِه لشَنَاعَة شُنِّعَتْ، ولا نَتَعَدَّىٰ القُرْآنَ والحديثَ، ولا نَعْلَمُ كيفَ كُنْهُ ذَلِكَ إلَّا بِتَصْدِيْقِ الرَّسولِ ﷺ وتَثْبِيتِ القُرْآنِ)[1].

قالَ الإِمامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إدْرِيْسَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (آمَنْتُ باللهِ وبِما جاءَ عَنِ اللهِ عَلىٰ مُرادِ اللهِ، وآمَنْتُ بِرَسُولِ اللهِ وبِما جاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ عَلىٰ مُرادِ رَسُولِ اللهِ)[2].

وَعَلىٰ هٰذا دَرَجَ السَّلَفُ وأَئِمَّةُ الخَلَفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلىٰ الإِقْرارِ، والإِمْرارِ والإِثْباتِ لما وَرَدَ مِنَ الصِّفاتِ فِي كِتابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسُولِهِ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لتأْوِيلِهِ.

وَقَدْ أُمِرْنا بالاقْتِفَاءِ لآثارِهِمْ، والاهْتِداءِ بِمَنارِهِمْ، وحُذِّرْنا المُحْدَثاتِ، وأُخْبِرْنا أنَّها مِنَ الضَّلالاتِ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ**

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢٥٢)، بنحوه.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٥٤).

الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّيْنَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»(١).

وقالَ عبدُ الله بنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اتَّبِعُوا ولا تَبْتَدِعُوا؛ فَقَدْ كُفِيتُمْ)(٢).

وقالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كلامًا معناهُ: (قِفْ حَيْثُ وَقَفَ القَوْمُ؛ فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وبِبَصَرٍ نافِذٍ كَفُّوا، وَلَهُمْ عَلَىٰ كَشْفِها كَانُوا أَقْوَى، وبالفَضْل لَوْ كانَ فيها أَحْرَى. فَلَئِنْ قُلْتُمْ حَدَثَ بَعْدَهُم، فَمَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، ولقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ ما يَشْفِي، وتَكَلَّمُوا مِنْه بِما يَكْفِي، فَما فَوْقَهُم مُحَسِّرٌ، وما دونهم مُقَصِّرٌ، لَقَدْ قَصُرَ عَنْهُم قَوْمٌ فَجَفَوْا، وَتَجاوَزَهُمْ آخَرُون فَغَلَوْا، وإِنَّهُمْ فِيما بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَىٰ هُدًىٰ مستقيمٍ)(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو خيثمة في «العلم» ص١٦، والدارمي في مسنده (١/٨٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/٩٦)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه ابو داود في سننه (٤٦١٢)، وابن وضاح في «البدع» (٧٤)، وقال الألباني: صحيح مقطوع.

وقالَ الإمامُ أبو عمْرٍو الأوزاعيُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (عليْكَ بآثارِ مَنْ سَلَفَ، وإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وإِيَّاك وآراءَ الرِّجالِ وَإِنْ زَخْرَفُوهُ لَكَ بالقوْلِ)[1].

وقالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَذْرَمِيُّ[2] لِرَجُلٍ تكَلَّمَ ببدْعَةٍ وَدَعَا الناسَ إِلَيْها: (هَلْ عَلِمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ وعُثْمانُ وعَلِيٌّ أوْ لَمْ يَعْلَمُوها؟ قالَ: لَمْ يَعْلَمُوها. قالَ: فَشَيْءٌ لَمْ يَعْلَمْهُ هَؤُلاءِ أَعلِمْتَهُ أنتَ؟ قالَ الرَّجُلُ: فإِنِّي أقولُ قَدْ علِمُوها، قال: أَفوَسِعَهُمْ أن لَّا يَتكَلَّمُوا بِهِ وَلا يَدْعُوا النَّاسَ إِلَيْهِ، أمْ لَمْ يَسَعْهُمْ؟ قال: بَلْ وَسِعَهُمْ. قال: فَشَيْءٌ وَسِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وخُلَفَاءَهُ، لا يَسَعُكَ أَنْتَ؟ فانْقَطَعَ الرَّجُلُ! فَقالَ الخَلِيْفَةُ، وكانَ حاضِرًا: لا وَسَّعَ اللهُ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَسَعْهُ ما وَسِعَهُمْ!).

وهَكَذا مَنْ لَمْ يَسَعْهُ ما وَسِعَ رسولَ اللهِ ﷺ، وأَصْحابَهُ والتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسانٍ، والأئِمَةَ مِنْ بَعْدِهِمْ، والرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ، مِنْ تِلاوَةِ آياتِ الصِّفاتِ وقِراءَةِ أَخْبارِها، وإِمْرارِها كَما جاءَتْ، فَلا وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ!.

الشرح:

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١٢٧).

(٢) هو: عبد الله بن محمد بن إسحاق الجزري، أبو عبد الرحمن الأذرمي الموصلي، إمام ثقة، روى عنه أبو يعلى والنسائي وغيرهما.

ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١١/ ٢٧١)، وفيه قصة المناظرة، و«تاريخ الإسلام» (٥/ ١١٦٠).

هذا المقطع نقسِّمُه إلى فقرات:

الفقرة الأولى: قوله: «وَكُلُّ ما جاءَ فِي القُرْآنِ ... ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾».

وتضمَّنت هذه الفقرة المباحث الآتية:

المبحث الأول: الواجب في صفات الله - تعالى - الواردة في القرآن أو صحيح السنة:

أولا: الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول.

وهذه طريقة السلف التي هي أسلم وأعلم وأحكم، والنُّقُول عنهم كثيرة في تقرير هذا الأصل.

قال الإمام الأوزاعي إمام الشام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٥٧هـ): «كنا - والتابعون متوافرون - نقول: إن الله - تعالى ذِكرُه - فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته - جل وعلا -»[1].

وقال الحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز، وتهامة، واليمن، والعراق، والشام، ومصر؛ مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته لنفسه؛ نُقِر بذلك بألسنتنا، ونصدق بذلك بقلوبنا، من غير أن نشبِّه

(١) «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٣٠٤).

وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، وعَزَّ ربُّنا عن أن نشبهه بالمخلوقين، وجَلَّ ربُّنا عن مقالة المعطلين»[1].

وعلى هذا سار السلف ومن اتبع هداهم على الإيمان بأسماء الله - تعالى - وصفاته، والتسليم لما دلت عليه النصوص في ذلك.

ثانيا: ترك التعرض له بالرد، والتأويل، والتشبيه، والتمثيل.

الفِرَق المنحرفة في باب الأسماء والصفات كثيرة، لكن يُمكِن ردُّها إلى طائفتين:

- **الطائفة الأولى: المعطِّلة.**

التعطيل في اللغة: هو الترك والتَّخلِيَة، ومنه قولُه تعالى: ﴿**وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ**﴾ [الحج: ٤٥]، أي: خالية متروكة.

والتعطيل يراد به هنا: تعطيل الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن أسمائه وصفاته كليا أو جزئيا.

ويدخل فيه - أيضا - تعطيل نصوص الأسماء والصفات، بمعنى: إنكار ما دلت عليه من معاني الأسماء والصفات.

---

(١) «التوحيد» لابن خزيمة (١/٢٦).

وهو قسمان:

١- **التعطيل الكلي**: وهو إنكار جميع الأسماء والصفات، وهو الذي عليه الجهمية والفلاسفة.

٢- **التعطيل الجزئي**. وهو نوعان:

أ- إثبات الأسماء ونفي الصفات كلها، وهو الذي عليه المعتزلة ومن وافقهم.

ب- إثبات الأسماء وبعض الصفات دون بعض، وهو الذي عليه الكُلَّابية والأشاعرة والماتُرِيْدية.

فقول المؤلف: «وتَرْكِ التَّعَرُّضِ لَهُ بالرَّدِّ والتَّأْويلِ»، يشير إلى التحذير من مسلك هذه الطائفة؛ لأن منهجهم - في النصوص التي تضمنت إثبات شيء من الأسماء والصفات التي لا يثبتونها - يتلخَّص في الآتي:

أ- إذا كان النص قطعيا - قرآنا أو سنة متواترة - قابلوه بالتأويل، وهو في حقيقته تحريف؛ لأنه صرف للَّفظ عن ظاهره إلى معنى آخر بلا دليل.

وهذا النوع هو الذي جال فيه المعطلة وصالوا، وتوسعوا وسمَّوه تأويلا.

ومن أمثلة تحريف المعنى: قول المعطلة في قوله تعالى: ﴿**ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ**﴾ [طه: ٥]، قالوا: معنى «**اسْتَوَى**» استولى.

وفي معنى اليد في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]، قالوا: اليَدُ هي النعمة والقدرة.

ب- إذا كان النص ظنيا - خبر آحاد -؛ قابلوه بالرَّدِّ، وقالوا: لا نقبل في العقائد إلا القطعيات دون الظنيات.

وهكذا نرى أن المؤلف يحذِّر من هذا المنهج بقوله: «وتَرْكِ التَّعَرُّضِ لَهُ بالرَّدِّ والتَّأْويلِ».

فالرَّدُّ: هو التكذيب والإنكار. مثل أن يقول قائل: ليس لله يد لا حقيقة ولا مجازًا. وهذا كفر؛ لأنه تكذيب لله ورسوله.

- **الطائفة الثانية: الممثِّلة.**

التمثيل: إثبات مماثِل لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيما يختص به من حقوق أو صفات، كمن يقول: يد الله كأيدينا، ونحو ذلك.

وحكمه: أنه كفر؛ لأنه من الإشراك بالله، وتكذيب لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ويتضمن النقص في حق الله؛ حيث مثَّله بالمخلوق الناقص.

الفرق بين التمثيل والتشبيه:

أن التمثيل يقتضي المساواة من كل وجه بخلاف التشبيه.

والمشبِّهة أقل من المعطِّلة بكثير، وممن سلك مسلك التمثيل: فرقة الكرامية، أتباع محمد بن كرام السجستاني.

وأهل السنة يتبرؤون من مسلك التمثيل؛ لأنهم يقرؤون قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ**﴾ [الشورى:١١].

فالمؤلف يحذِّر من هذا المسلك بقوله: «وتَرْكِ التَّعَرُّضِ لَهُ بالرَّدِّ والتَّأْوِيلِ، والتَّشْبِيهِ والتَّمْثِيلِ».

ثالثا: الواجب تجاه المُشكِل من ذلك:

تنقسم نصوص الكتاب والسنة الواردة في الصفات إلى قسمين(١):

القسم الأول: واضح جلي.

وهو ما اتضح لفظه ومعناه.

وحكمه: أنَّه يجب الإيمان به لفظا، وإثبات معناه حقا، بلا رد ولا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل؛ لأن الشرع ورد به فوجب الإيمان به، وتلقيه بالقبول والتسليم.

القسم الثاني: مُشكِل خفي.

وهو ما لم يتضح معناه لبعض الناس؛ لإجمال في دلالته، أو قصور في فهم قارئه.

---

(١) من «شرح لمعة الاعتقاد» للشيخ ابن عثيمين بتصرف يسير.

وحكمه: أنه يجب إثبات لفظه؛ لورود الشرع به، والتوقف في معناه وترك التعرض له؛ لأنه مشكِل لا يمكن الحكم عليه، فنَرُدُّ علمه إلى الله ورسوله؛ عملا بقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ**﴾ [الإسراء: ٣٦].

- **مذاهب الناس في هذا المشكل:**

انقسمت طرق الناس في هذا المشكل إلى طريقين:

الطريق الأولى: طريقة الراسخين في العلم:

الذين آمنوا بالمحكم والمتشابه، وقالوا :كلٌّ من عند ربنا، وتركوا التعرض لما لا يمكنهم الوصول إلى معرفته والإحاطة به، تعظيما لله ورسوله، وتأدُّبا مع النصوص الشرعية، وهم الذين أثنى الله عليهم بقوله: ﴿**وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا**﴾ [آل عمران:٧].

الطريق الثانية: طريقة الزائغين:

الذين اتبعوا المتشابه طلبا للفتنة، وصَدًّا للناس عن دينهم وعن طريقة السلف الصالح، فحاولوا تأويل هذا المتشابه إلى ما يريدون لا إلى ما يريده الله ورسوله، وضربوا نصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض، وحاولوا الطعن في دلالتها بالمعارضة والنقص؛ ليشككوا المسلمين في دلالتها، ويعموهم عن هدايتها.

وهؤلاء هم الذين ذمَّهم الله بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

- **تنبيهان مهمان:**

الأول: حقيقة الإشكال في النصوص الشرعية:

الوضوح والإشكال في النصوص الشرعية أمر نسبي، يختلف فيه الناس بحسب العلم والفهم، فقد يكون مُشكِلا عند شخص ما هو واضح عند شخص آخر، والواجب عند الإشكال اتباع ما سبق مِن ترك التعرض له والتخبط في معناه.

أما من حيث واقع النصوص الشرعية، فليس فيها بحمد الله ما هو مُشكِل لا يعرف أحدٌ من الناس معناه فيما يُهمهم من أمر دينهم ودنياهم؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصف القرآن بأنه نور مُبِين، وبيان للناس، وفرقان، وأنزله تبيانا لكل شيء، وهدى ورحمة، وهذا يقتضي أن لا يكون في النصوص ما هو مشكل بحسب الواقع؛ بحيث لا يمكن لأحد من الأمة معرفة معناه.

الثاني: تنبيه حول قول المؤلف: «وَجَبَ إِثْباتُهُ لَفْظًا، وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمَعْناهُ».

فهِم بعضُ الناس من قول المؤلف: «وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمَعْناهُ»، أنه يرى رأي المُفَوِّضة الذين لا يثبتون معاني للصفات، ويرون أن المعاني المرادة من هذه النصوص مجهولة للخلق، لا سبيل للعلم بها، بل هي مما استأثر الله بعلمه!.

ونتيجة مذهب التفويض: هي الجهل المطبق بمعاني النصوص، ولذا سماهم أهل السنة (أهل التجهيل).

ومذهب السلف: إثبات المعنى وتفويض الكيفية، كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم – يعني معناه معلوم في اللغة العربية –، والكيف مجهول.

وقول المؤلف «وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمَعْنَاهُ» محمول على أحد وجوه:

١- يُحمل على من أَشْكَل عليه معنى النص؛ فهذا يجب عليه الإيمان بلفظه، وترك التعرض لمعناه؛ لأنه يكون – حينئذٍ – من التكلُّف والقول على الله بلا علم.

٢- يُحمل على المعنى الباطل من التأويل، وأنه لا يريد نفي المعنى بالكلية، كما سيأتي عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- يُحمل المعنى في كلامه على معنى الكيفية، ويشير إلى ذلك ذِكرُ آية آل عمران.

«قال أبو عبيد القاسم بن سلام، وذكَر الباب الذي يُروى في الرؤية والكرسي، وموضع القدمين، وضَحِك ربنا، وأين كان ربنا، ويضع الرَّبُّ قدَمه فيها، وأشباه هذا، فقال: هذه أحاديث صحاح، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا شك فيه، ولكن إذا قيل: كيف وضع قدمه؟ وكيف ضحك؟ قلنا: لا نفسر هذا، ولا سمعنا أحدا يفسرها»[1].

(١) «إبطال التأويلات» لأبي يعلى ص٤٨.

ومما يدل على أن الموفَّق لا يريد نفي المعنى بالكلية:

١- ما نقله عن الإمام الشافعي من قوله: «آمَنْتُ بِاللهِ وَبِما جاءَ عَنِ اللهِ علىٰ مُرادِ اللهِ ...»، فقوله: (علىٰ مُرادِ اللهِ) إثبات للمعنى.

٢- ما نقله لاحقا عن الإمام مالك: «الاسْتِواءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، والكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ» [1]، فقولُه: «غَيْرُ مَجْهُولٍ» يعني المعنى؛ لأنَّ معناه معلوم في اللغة.

٣- قوله هنا - بعد أن ساق جملة من الصفات -: «فَهَذَا وَما أَشْبَهَهُ مِمَّا صَحَّ سَنَدُهُ، وعُدِّلَت رُوَّاتُه، نُؤْمِنُ بِهِ، ولا نَرُدُّهُ، ولا نَجْحَدُهُ، ولا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأْوِيلٍ يُخالِفُ ظاهِرَه». ومفهوم كلامه أننا نحمله على ظاهره، وهذا دليل على أنه يقِر بمعناه.

٤- نقله في هذا المتن عن الإمام أحمد قوله: «ولا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفاتِهِ لِشَنَاعَةٍ شُنِّعَتْ». وهذا فيه تبرِئة له من التفويض؛ لأنه يقرِّر أنه يثبت الصفة التي جاء بها النص، ولو كان معناها مما يستنكره بعض السامعين، وهذا فيه إثبات لمعنى الصفة، والمفوِّض لا يقول مثل هذا.

٥- نصوص للمُوَفَّقِ في كتبه الأخرى مثل: «ذم التأويل» و«مسألة العلو» وغيرهما، تدل على أنه لا يرى مذهب التفويض.

٦- سيرة الرجل، وكلام أهل العلم عنه، وأنه على مذهب السلف.

---

(١) تقدم تخريجه.

المبحث الثاني: المحكم والمتشابه:

- **المُحْكَم**: ما اتضح معناه.أي: ما دل بنفسه دلالة واضحة على معناه الذي لا يقبل نسخا ولا يحتمل تأويلا. وذلك كالنصوص والظواهر، وسمي بذلك؛ لأنه من البيان في غاية الإحكام والإتقان.

ومن أمثلته:

أولا: أكثر نصوص العقائد؛ كالإيمان والتوحيد؛ فإنها لا تقبل التبديل والتغيير، كما لا تحتمل التأويل؛ لأن التأويل اجتهاد، وليست محلا للاجتهاد.

ثانيا: النصوص التي أمرت بأمهات الفضائل التي لا يُتصور لها تبديل أو تغيير؛ كنصوص بر الوالدين وصلة الأرحام، والأمر بالعدل والإحسان، وتحريم الظلم والعدوان.

ثالثا: القواعد العامة التي قامت عليها شرائع الإسلام، كرفع الحَرَج، ومنع الضرر، واعتبار الأمور بمقاصدها.

وحكم هذا النوع: وجوب العمل بما دل عليه، وهو حجة قطعية الدلالة.

- **أما المتشابه**: فهو ما لم يتضح معناه. أي: هو اللفظ الذي لا تدل صيغته على المراد منه، وليس ثمة قرائنُ تبينه، واستأثر الله – عز وجل – بعلم حقيقته.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، فجعل «المُحْكَمَ» أمَّ الكتاب، و«أمُّ الشيء»: معظمه وأكثره. أما «المُتَشابِه»: فجاء ذكره بلفظ يدل على التقليل. وهذا هو المتناسب مع ما أنزل الله - تعالى - القرآن لأجله: أن يكون أكثره واضحا لا لبس فيه ولا إشكال، وهذا معنى وصف القرآن بالهداية والتبيان والنور.

ثم إن الآية دلَّت على أن الله - تعالى - استأثر بعلم «المتشابه»، لا يدرِك حقيقته أحدٌ حتى العلماء، بل يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، وما كان كذلك امتنع - جزما - أن يُراد به التشريع للأمة؛ لأن الله - تعالى - لا يمكن أن يُكلِّف العباد ما لا يُدرِك معناه خاصَّتُهم من أهل الذكر والعلم الذين هم المفزع لمعرفة الدين.

فإذا ظهر هذا، علمنا امتناع دخول شيء من الأحكام تحت معنى «المتشابه».

والمتشابه نوعان:

متشابه نسبي، ومتشابه حقيقي مطلق.

والفرق بينهما: أن الحقيقي المطلَق يخفى على كل أحد. وأما النسبي فيخفى على البعض دون الكل.

- وبناء على هذا التقسيم ينبني الوقفُ في قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ**﴾ [آل عمران:٧]، فعند الوقف على ﴿**إِلَّا ٱللَّهُ ۗ**﴾ يكون المرادُ بالمتشابه: المتشابهَ المطلق، وعلى الوصل ﴿**إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ**﴾، يكون المراد بالمتشابه: المتشابه النسبي.

واختار المؤلف الوقف على اسم الله – تعالى –، كما يدلُّ عليه قولُه: «فَجَعَلَ ابْتِغَاءَ التَّأْوِيلِ علامَةً على الزَّيْغِ، وقَرَنَهُ بابْتِغَاءِ الفِتْنَةِ في الذَّمِّ، ثم حَجَبَهُمْ عمَّا أَمَّلُوهُ، وقَطَعَ أَطْمَاعَهُمْ عمَّا قَصَدُوهُ، بقَوْلِهِ تَعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران:٧]».

ومن أمثلة المتشابه الحقيقي (المطلق):

أولا: نصوص صفات الله – عز وجل –، لا من جهة معانيها؛ فإنها بألفاظ عربية مدرَكةِ المعاني، وإنما الاشتباه في إدراك كيفياتها وكُنهِها.

فإن قيل: هل صفات الله – تعالى – من المُحكَم أو من المتشابه؟

فالجواب: هي من جهة معانيها من المحكم، ومن جهة كيفيتها من المتشابه.

ثانيا: حقائق ما أخبر الله به من نعيم الجنة وعذاب النار.

ومثال المتشابه النسبي: ما يخفى على بعض العلماء، مما يدركه بعض الراسخين في العلم.

وجاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: «أَنَا مِمَّنْ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ»(١).

وحكم المتشابه يختلف باختلاف نوعه:

فالمتشابه الحقيقي: يجب الإيمان به كما ورد، وتفويضُ العلم بكيفيته وكُنهِه إلى الله - عز وجل -. ولا يُخاض في ابتغاء تأويله؛ إذ الخوض في ذلك من ذرائع الفتنة والحيرة والضلال.

قال تعالى: ﴿**وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ**﴾ [آل عمران: ٧-٨].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: تَلا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿**هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ** ...﴾ الآيةَ، إلى آخِرِها، قالَتْ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»(٢).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٢٠).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

وأما المتشابه النسبي: فالواجب الإيمان بالنص في الجملة، حتى يتبين معناه بالنظر والدَّرس لَمن كان أهلا، أو بسؤال العلماء الذين يبيِّنون ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

- **فائدة:**

القرآن كله محكم باعتبار، وكلُّه متشابه باعتبار، وبعضُه محكم وبعضُه متشابه باعتبار ثالث.

١- فقد جاء وصفُه في عدة آيات بأنه محكم؛ كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود: ١]، ومعنى هذا: أنه في غاية الإحكام صدقا في الأخبار، وعدلا في الأحكام.

٢- وجاء وصفُه بأنه متشابه؛ كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾[الزمر:٢٣]، أي: يشبه بعضه بعضا في الصدق، والحق، والفصاحة.

٣- وجاء وصفه بأنه ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧]، فيكون معنى المحكم والمتشابه ما سبق في أول المبحث.

- **هل آيات الصفات من المحكم أو من المتشابه؟**

إطلاق القول بأن معاني أسماء الله وصفاته من المتشابه، أو هي المتشابه؛ باطل، لم يصدُر عن أحد من السلف. لكن قد يقع تشابه نسبي إضافي خاص

لبعض الناس في هذا الباب فيزول بالإحكام الخاص الذي يعلمه الراسخون في العلم.

أما حقائق هذه المعاني وكيفياتها، فلا ريب أنه مما استأثر الله بعلمه، وحجب إدراك كنهه عن خلقه، فلا سبيل لأحد إلى العلم به[1].

المبحث الثالث: معنى التأويل:

التأويل في اللغة: مأخوذ من الأَوْل، وهو: الرجوع.

وأما في اصطلاح العلماء فيطلق على ثلاثة معان:

الأول: التفسير: وهو إيضاح المعنى وبيانه.

وكان السلف يُسَمُّون علم التفسير (علم التأويل)، وفي دعاء النبي ﷺ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ، وعَلِّمْهُ التَّأْوِيْلَ**»[2].

وعلى هذا استعمال السلف، ومنهم ابن جرير في تسميته كتابه «جامع البيان عن تأويل آي القرآن».

---

(١) خلاصة بحث المسألة في موقع الدرر السنية: http://www.dorar.net/enc/aqadia/١٤٥٣ وأحالوا على كتاب «مذهب أهل التفويض» للدكتور أحمد القاضي ص٣٠٢.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢٣٩٧)، وابن حبان (٧٠٥٥)، وصححه الأرناؤوط وغيره. وهو عند البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧)، بدون محل الشاهد.

الثاني: الحقيقة التي يؤول الشيء إليها.

وهذا هو المعروف من معنى التأويل في الكتاب والسنة.

فتأويل الأمر فعلُه، وتأويل الخبر وقوعُه، ومنه قوله تعالى: ﴿**هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ**﴾ [يوسف: ١٠٠].

الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى الذي يخالف الظاهر.

وهو اصطلاح المتأخِّرين من المتكلمين وغيرهم.

وهو نوعان: صحيح وفاسد.

فالصحيح: ما دل الدليل عليه، مثل تأويل قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ**﴾ [النحل: ٩٨]، بأن المعنى: إذا أردت أن تقرأ.

والفاسد: ما لا دليل عليه؛ كتأويل استواء الله على عرشه: باستيلائه، ويدِه: بقوته ونعمته، ونحو ذلك.

وهذا النوع - ما لا دليل عليه - جدير أن يسمى تحريفا لا تأويلا.

الفقرة الثانية: «قالَ الإِمامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَىٰ سَماءِ الدُّنْيَا**»(١) ... كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلىٰ الإِقْرارِ، والإِمْرارِ والإِثْباتِ لما وَرَدَ مِنَ الصِّفاتِ فِي كِتابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسُولِهِ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لتأْوِيلِهِ».

تضمَّنت هذه الفقرة، نقلا عن الإمامين أحمد والشافعي.

أولا: كلام الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ:

«قالَ الإِمامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَىٰ سَماءِ الدُّنْيَا**»(٢)، و«**إِنَّ اللهَ يُرىٰ فِي القِيامَةِ**»(٣)، وَما أَشْبَهَ هٰذِهِ الأَحادِيْثَ، قالَ: (نُؤْمِنُ بِها وَنُصَدِّقُ بِها، لَا كَيْفَ ولَا مَعْنىٰ ولا نَرُدُّ شَيْئًا مِنْها، ونَعْلَمُ أَنَّ ما جاءَ بِهِ الرَّسولُ ﷺ حَقٌّ، ولا نَرُدُّ عَلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلا نَصِفُ اللهَ بأَكْثَرَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، بِلا حَدٍّ ولا غايَةٍ ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١]. ونَقُولُ كَما قالَ، ونَصِفُهُ بِما وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، لا نَتَعَدَّىٰ ذَلِكَ، وَلا يَبْلُغُهُ وَصْفُ الواصِفِينَ، نُؤْمِنُ بالقرآنِ كُلِّهِ مُحْكَمِهِ ومُتَشابِهِهِ ولا نُزِيلُ عَنْهُ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

صِفَةً مِنْ صِفَاتِه لشَنَاعَة شُنِّعَتْ، ولا نَتَعَدَّىٰ القُرْآنَ والحديثَ، ولا نَعْلَمُ كيفَ كُنْهُ ذَلِكَ إلَّا بِتَصْدِيْقِ الرَّسولِ ﷺ وتَثْبِيتِ القُرْآنِ».

تضمنت هذه الفقرة أمورا:

الأول: وجوب الإيمان والتصديق بما جاء عن رسول الله ﷺ من أحاديث الصفات من غير زيادة ولا نقص، ولا حد ولا غاية.

الثاني: أنه لا كيف ولا معنى، أي: لا نكيِّف هذه الصفات؛ لأن تكييفها ممتنع لما سبق. وليس مرادُه أنه لا كيفية لصفاته؛ لأن صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثابتة حقًّا، وكل شيء ثابت فلا بد له من كيفية، لكن كيفية صفات الله – تعالى – غير معلومة لنا.

وقوله: «ولا مَعْنَىٰ»، أي: لا نثبت لها معنى يخالف ظاهرها، كما فعله أهل التأويل، وليس مراده نفي المعنى الصحيح الموافق لظاهرها الذي فسرها به السلف؛ فإن هذا ثابت، ويدل على هذا قوله: «ولا نَرُدُّ شَيْئًا مِنْها ... ولا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِه لشَنَاعَة شُنِّعَتْ، ولا نَتَعَدَّىٰ القُرْآنَ والحديثَ، ولا نَعْلَمُ كيفَ كُنْهُ ذَلِكَ»، فإن نفيه لرَدِّ شيء منها، ونفيَه لعلم كيفيتها دليل على إثبات المعنى المراد منها.

الثالث: وجوب الإيمان بالقرآن كلِّه محكَمِه (وهو ما اتضح معناه)، ومتشابِهِه (وهو ما أشكَل معناه)، فنَرُدُّ المتشابه إلى المحكم؛ ليتضح معناه، فإن لم يتضح وجب الإيمان به لفظا، وتفويض معناه إلى الله – تعالى –.

ثانيا: كلام الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قالَ الإِمامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيْسَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (آمَنْتُ باللهِ وبِما جاءَ عَنِ اللهِ عَلىٰ مُرادِ اللهِ، وآمَنْتُ بِرَسُولِ اللهِ وبِما جاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ عَلىٰ مُرادِ رَسُولِ اللهِ)».

تضمَّن كلامُ الإمام الشافعي ما يأتي:

أولا: الإيمان بما جاء عن الله – تعالى – في كتابه المُبين على ما أراده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من غير زيادة، ولا نقص، ولا تحريف.

ثانيا: الإيمان بما جاء عن رسول الله ﷺ في سنته، على ما أراده ﷺ، من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف.

وفي هذا الكلام رَدٌّ على أهل التأويل، وأهل التمثيل؛ لأن كل واحد منهم لم يؤمن بما جاء عن الله ورسولِه على مراد الله ورسوله، فإنَّ أهل التأويل نقصوا، وأهل التمثيل زادوا.

قال المؤلف: «وَعَلىٰ هٰذا دَرَجَ السَّلَفُ وأَئِمَّةُ الخَلَفِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلىٰ الإِقْرارِ، والإِمْرارِ والإِثْباتِ لما وَرَدَ مِنَ الصِّفاتِ فِي كِتابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسُولِهِ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لتأْوِيلِهِ».

هذا بيان لمذهب السلف في باب الأسماء والصفات، وسبق بيان المقصود بالسلف في أول شرح المتن، وأن له معنى خاصًّا وعامًّا.

ومذهبهم قائم على إثبات الصفات الواردة في الكتاب والسنة بلا تكييف أو تمثيل.

• • •

الفقرة الثالثة: «وَقَدْ أُمِرْنا بالاقْتِفَاءِ لآثارِهِمْ، والاهْتِداءِ بِمَنارِهِمْ ... فَلا وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ!».

تضمنت هذه الفقرة الحثَّ على اتباع ما كان عليه السلف الصالح، والتحذير من الابتداع في الدين، وساق في تقرير ذلك: حديثا نبويا، وقولَ صحابي، وتابعي، وتابعِ تابعي، ثم أورد مناظرة لأحد الآخذين عن أتباع التابعين.

أولا: الحديث النبوي:

قال النبي ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»(١).

(١) تقدم تخريجه.

والحديث نصٌ في الحثِّ على التمسك بسنة النبي ﷺ، والخلفاء الراشدين، والمبالغة في ذلك بقوله: «**عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»، وهي: الأضراس، وقيل: أقصى الأضراس.

والمراد بالمُحدَثات في الدين: هي ما أُحدِث على خلاف هديه ﷺ، وهدي أصحابه في العقيدة أو في العمل.

وقوله ﷺ: «**كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»: هذا من أقوى ألفاظ العموم، ويفيد أنَّ البدع كلها ضلالة، وليس هناك بدعة حسنة في الدين.

ثانيا: قول الصحابي:

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اتَّبِعُوا ولا تَبْتَدِعُوا؛ فَقَدْ كُفِيتُمْ»(١).

وهذا أمر منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأصحابه ومن بعدهم أن يلتزموا ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ونَهْي منه عن الابتداع؛ لأن الدين قد كمل وتمَّ فلا وجه للزيادة، قال تعالى: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [المائدة: ٣].

قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذ دينا، فلا يكون اليوم دينا»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه ابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام» (٦/٥٨).

ثالثا: قول التابعي:

«وقالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كلامًا معناهُ: (قِفْ حَيْثُ وَقَفَ القَوْمُ؛ فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وببَصَرٍ نافِذٍ كَفُّوا، وَهُمْ عَلَىٰ كَشْفِها كَانُوا أَقْوَى، وبالفَضْل لَوْ كانَ فيها أَحْرَى. فَلَئِنْ قُلْتُمْ حَدَثَ بَعْدَهُم، فَمَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، ولقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ ما يَشْفِي، وتَكَلَّمُوا مِنْه بِما يَكْفِيْ، فَما فَوْقَهُم مُحَسِّرٌ، وما دونهم مُقَصِّرٌ، لَقَدْ قَصُرَ عَنْهُم قَوْمٌ فَجَفَوْا، وَتَجاوَزَهُمْ آخَرُون فَغَلَوْا، وإِنَّهُمْ فِيما بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَىٰ هُدًىٰ مستقيمٍ)».

وتضمَّن هذا الكلام:

١- وجوب الوقوف حيث وقف القوم، ويعني بهم: النبيَّ ﷺ وأصحابه فيما كانوا عليه من الدين عقيدة وعملا؛ لأنهم وقفوا عن علم وبصيرة، ولو كان فيما حدث بعدهم خيرٌ، لكانوا به أحرى.

٢- أن ما أُحدِث بعدهم فليس فيه إلا مخالفة هديهم، والزهد في سنتهم، وإلا فقد وصفوا من الدين ما يَشفِي، وتكلموا فيه بما يكفي.

٣- أن من الناس من قصر في اتباعهم فكان جافيا، ومن الناس من تجاوزهم فكان غاليا، والصراط المستقيم ما بين الغلو والتقصير.

رابعا: قول تابع التابعي:

«وقالَ الإِمامُ أَبُو عَمْرٍو الأَوْزَاعِيُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (عَلَيْكَ بآثارِ مَنْ سَلَفَ، وإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وإِيَّاك وآراءَ الرِّجالِ، وَإِنْ زَخْرَفُوهُ لَكَ بالقَوْلِ)».

وهذا فيه الحث على التمسك بسُنَّة السلف ولو حصلت منابذة ومواجهة من الناس، والحذر من آراء الرجال (أي: ما يكون من الرأي المذموم)، ولو عُرِض في قالب جميل.

دينُ النَّبِي محمدٍ آثارُ
نِعْم المطيَّةُ للفتى الأخبارُ
لا تَرْغَبَنَّ عن الحديث وأهلِه
فالرأي ليلٌ، والحديثُ نهارُ
ولربما جهِل الفتى أثرَ الهُدى
والشمسُ بازغةٌ لها أنوارُ[1]

وهذا يدعو المسلم ولا سيما طالب العلم إلى العناية بآثار السلف وطلبِها؛ فهذا من العلم النافع، وذلك في كتب الحديث والعقيدة التي خلَّفها لنا السلف.

خامسا: مناظرة الأذْرَمِي[2]:

«وقالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَذْرَمِيُّ لِرَجُلٍ تكَلَّمَ ببدْعَةٍ وَدَعَا الناسَ إِلَيْها: (هَلْ عَلِمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ وعُثْمانُ وعَلِيٌّ أوْ لَمْ يَعْلَمُوها؟

(١) ينظر: «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٢٢٢)، ونسب الأبيات لعبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) الرجل الذي ناظره الأذرمي هو: أحمد بن أبي دؤاد، والبدعة: القول بخلق القرآن، والخليفة: الواثق بالله العباسي. وينظر تعليق المحقق على شرح «لمعة الاعتقاد» للشيخ ابن عثيمين ص٤٦-٤٧.

قالَ: لَمَ يَعْلَمُوها. قالَ: فَشَيْءٌ لَمْ يَعْلَمْهُ هَؤُلاءِ أَعلِمْتَهُ أنتَ؟ قالَ الرَّجُلُ: فإنِّي أقولُ قَدْ علِمُوها، قال: أَفَوَسِعَهُمْ أن لَّا يَتكَلَّمُوا بِهِ وَلا يَدْعُوا النَّاسَ إلَيْهِ، أمْ لَمَ يَسَعْهُمْ؟ قال: بَلْ وَسِعَهُمْ. قال: فَشَيْءٌ وَسِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وخُلَفَاءَهُ، لا يَسَعُكَ أَنْتَ؟ فانْقَطَعَ الرَّجُلُ! فَقالَ الخَلِيْفَةُ، وكانَ حاضِرًا: لا وَسَّعَ اللهُ عَلَىٰ مَنْ لَمَ يَسَعْهُ ما وَسِعَهُمْ!)».

قال المؤلف: «وهَكَذا مَنْ لَمَ يَسَعْهُ ما وَسِعَ رسولَ اللهِ ﷺ، وأَصْحابَهُ والتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإحْسانٍ، والأئِمَةَ مِنْ بَعْدِهِمْ، والرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ، مِنْ تِلاوَةِ آياتِ الصِّفاتِ وقِراءَةِ أَخْبارِها، وإمْرارِها كَما جاءَتْ، فَلا وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ!».

المقطع الثالث

ذكر بعض صفات الله - تعالى - بأدلتها

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَمِمَّا جاءَ مِنْ آياتِ الصِّفاتِ: قولُ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧]، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وَقَوْلُهُ - تَعالىٰ - إخْبارًا عَنْ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَنَّهُ قالَ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦]، وَقَوْلُهُ - سُبْحانَهُ -: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢]، وَقَوْلُهُ - تَعالى -: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢١٠]، وَقَوْلُهُ - تَعالى -: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩]، وَقَوْلُهُ - تَعالى -: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]، وَقَوْلُهُ - تَعالى - فِي الكُفَّارِ: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٦، والمجادلة:١٤، والممتحنة:١٣]، وَقَوْلُهُ - تَعالى -: ﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد:٢٨]، وَقَوْلُهُ - تَعالى -: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦].

ومِنَ السُّنَّةِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**يَنْزِلُ ربُّنا - تَبارَكَ وَتَعالىٰ - كُلَّ لَيْلَةٍ إِلىٰ السَّماءِ الدُّنْيا**»(١)، وَقَوْلُهُ: «**يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ**(٢)»(٣)، وَقَوْلُهُ: «**يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلانِ الجَنَّةَ**»(٤).

فَهٰذا وَما أَشْبَهَهُ، مِمَّا صَحَّ سَنَدُهُ، وَعُدِّلَتْ رُواتُهُ، نُؤْمِنُ بِهِ، وَلا نَرُدُّهُ، وَلا نَجْحَدُهُ، وَلا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأْوِيلٍ يُخالِفُ ظاهِرَهُ، ولا نُشَبِّهُهُ بِصِفاتِ المَخْلُوقِيْنَ، وَلا بِسِماتِ المُحْدَثِيْنَ، وَنَعْلَمُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا شَبِيْهَ لَهُ، وَلا نَظِيْرَ، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١]، وَكُلُّ ما تُخُيِّلَ فِي الذِّهْنِ أَوْ خَطَرَ بالبَالِ، فَإِنَّ اللهَ - تَعالىٰ - بِخِلافِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿**ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ**﴾ [طه:٥]، وَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿**ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ**﴾ [الملك:١٦]، وَقَولُ النَّبِيِّ ﷺ:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الصبوة: هي الميل إلى الهوى، وهي المرة منه.

(٣) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد في مسنده (١٧٣٧١)، بلفظ «**إِنَّ اللَّهَ لَيَعْجَبُ**»، وأبو يعلى في مسنده (١٧٤٩)، وقال محققو مسند أحمد: حسن لغيره.

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

«**رَبُّنَا اللهُ الَّذِيْ فِي السَّماءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ**»[1]، وَقالَ لِلْجارِيَةِ: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قالَتْ: فِي السَّماءِ. قالَ: «**أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»[2]، رَواهُ مالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُما مِنَ الأَئِمَّةِ.

وَقالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحُصَيْنٍ: «**كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ؟**» قالَ: سَبْعَةً: سِتَّةً فِي الأَرْضِ، وَواحِدًا فِي السَّماءِ، قالَ: «**مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟**» قالَ: الَّذِيْ فِي السَّماءِ، قالَ: «**فَاتْرُكِ السِّتَّةَ، وَاعْبُدِ الَّذِيْ فِي السَّماءِ، وَأَنا أُعَلِّمُكَ دَعْوَتَيْنِ**»، فَأَسْلَمَ، وَعَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «**اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِيْ، وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي**»[3].

وَفِيما نُقِلَ مِنْ عَلاماتِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحابِهِ فِي الكُتُبِ المُتَقَدِّمةِ أَنَّهُمْ يَسْجُدُونَ بِالأَرْضِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ إِلَهَهُمْ فِي السَّماءِ.

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٨٠٩)، والطبراني في الأوسط (٨٦٣٦)، وضعفه الألباني.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٣٧)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٧٧٦).

(٣) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٣٤٨٣) في سننه، والطبراني في «الدعاء» (١٣٩٣)، وضعفه الألباني.

وَرَوَىٰ أَبُو داوُدَ فِي سُنَنِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «**إِنَّ مَا بَيْنَ سَماءٍ إِلىٰ سَماءٍ مَسِيرَةُ كَذَا وَكَذَا ...**»، وَذَكَرَ الخَبَرَ إِلىٰ قَوْلِهِ: **وَفَوْقَ ذَلِكَ العَرْشُ، وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - فَوْقَ ذَلِكَ**»[1].

فَهٰذا وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا أَجْمَعَ السَّلَفُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ عَلىٰ نَقْلِهِ وقَبُولِهِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوْا لِرَدِّهِ وَلا تَأْوِيلِهِ وَلا تَشْبِيهِهِ ولا تَمْثِيلِهِ.

سُئِلَ الإِمامُ مالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقِيلَ: يا أبا عَبْدِ اللهِ، ﴿**ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ**﴾ [طه:٥] كَيْفَ اسْتَوى؟ فَقالَ: الاسْتِواءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، والإِيْمانُ بِهِ واجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّجُلِ فَأُخْرِجَ[2].

وَمِنْ صِفاتِ اللهِ - تَعالىٰ - أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلامٍ قَدِيْمٍ، يُسْمِعُهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ. سَمِعَهُ مُوسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وسَمِعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وَمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْ مَلائِكَتِهِ، وَرُسُلِهِ.

وَأَنَّهُ - سُبْحَانَه - يُكَلِّمُ المُؤمِنِيْنَ فِي الآخِرَةِ، وَيُكَلِّمُوْنَهُ، ويَأْذَنُ لَهُمْ فَيَزُوْرُوْنَهُ، قالَ اللهُ - تَعالى -: ﴿**وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا**﴾ [النساء:١٦٤]، وَقالَ - سُبْحانَهُ -: ﴿**يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي**﴾ [الأعراف:١٤٤]، وقالَ - سُبْحانَهُ -: ﴿**مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ**﴾ [البقرة:٢٥٣]،

---

(١) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٤٧٢٣)، وابن ماجه (١٩٣)، وأحمد (١٧٧٠)، وضعفه الألباني.

(٢) تقدم تخريجه.

وقالَ - سُبْحانَهُ -: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١]، وقالَ - سُبْحانَهُ -: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه:١١-١٢]، وقالَ - سُبْحانَهُ -: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه:١٤] وَغَيْرُ جائِزٍ أَنْ يَقُولَ هٰذا أَحَدٌ غيرُ اللهِ.

وَقالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالوَحْيِ سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّماءِ»، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ[1].

وَرَوىٰ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ: «**يَحْشُرُ اللهُ الخَلائِقَ يَوْمَ القِيامَةِ عُراةً حُفاةً غُرْلاً بُهْمًا، فَيُنادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَما يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ**»[2]، رَواهُ الأَئِمَّةُ، وَاسْتَشْهَدَ بِهِ البُخارِيُّ.

وَفِي بَعْضِ الآثارِ: أَنَّ مُوسىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ لَيْلَةَ رَأَىٰ النَّارَ فَهالَتْهُ، فَفَزِعَ منها، فَناداهُ رَبُّهُ: يا مُوسَى! فَأَجابَ سَرِيْعًا؛ اسْتِئْناسًا بِالصَّوْتِ، فَقَالَ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، أَسْمَعُ صَوْتَكَ وَلا أَرَىٰ مَكانَكَ، فَأَيْنَ أَنْتَ؟! فقالَ: أَنا فَوْقَكَ، وَأَمامَكَ، وعَنْ يَمِيْنِكَ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا (كتاب التوحيد، باب قول الله - تعالىٰ -: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبإ:٢٣]).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده (١٦٠٤٢). وأخرجه البخاري في صحيحه معلقا (كتاب التوحيد، باب قول الله - تعالىٰ -: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٣])، ووصله في «الأدب المفرد» (٩٧٠)، وصححه الألباني.

وَعَنْ شِمَالِكَ، فَعَلِمَ أَنَّ هٰذِهِ الصِّفَةَ لا تَنْبَغِي إلاَّ للهِ - تَعالى -. قالَ: كَذَلِكَ أَنْتَ، يَا إِلٰهِي! أَفَكَلامَكَ أَسْمَعُ أَمْ كَلامَ رَسُوْلِكَ؟ قالَ: بَلْ كَلامِيْ، يا مُوسَى[1].

الشرح:

ساق المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أربع عشرة صفة من صفات الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأدلتها، ونحن نتكلم عليها كما أوردها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- **الأولى: قولُ الله - عز وجل -: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧].**

الوجه صفة ذاتية لله - عزَّ وجلَّ - ثابتة بالكتاب والسنة.

وهو وجه حقيقي يليق بالله - تعالى -، موصوف بالجلال والإكرام.

ومن أدلة الكتاب على هذه الصفة، قوله تعالى: ﴿**وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن: ٢٧].

ومن أدلة السنة، قولُ النبي ﷺ في الدعاء المأثور: «**وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ**»[2]. وغيرها من النصوص.

وقد فسَّره أهل التعطيل بـ(الثواب). والردُّ عليهم:

إن قولهم خلافُ ظاهر النصوص، وخلاف طريقة السلف، وليس عليه دليل صحيح.

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على «الزهد» (ص: ٣٤٢/٥٤)، مقطوعا على وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) **صحيح**: أخرجه النسائي (١٣٠٥)، وأحمد (١٨٣٢٥)، وصححه الألباني.

- **الثانية: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾** [المائدة:٦٤].

ومذهب أهل السنة والجماعة أن لله - تعالى - يدَين، اثنتين، مبسوطتين بالعطاء والنِّعَم. وهما من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به.

وقد دل على ثبوتهما الكتاب، والسنة:

فمن أدلة الكتاب، ما ذكره المؤلف، وقولُه تعالى: **﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾** [ص: ٧٥].

ومن أدلة السنة، قوله ﷺ: **«إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ»**(١).

وقد فسرهما أهل التعطيل بـ(النعمة أو القدرة) ونحوها. والردُّ عليهم:

إن قولهم خلاف ظاهر النصوص، وخلاف طريقة السلف، وليس عليه دليل صحيح. كما أن في السياق ما يمنع تفسيرهما بذلك قطعا، كقوله تعالى: **﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾**، وقوله ﷺ: **«يَمِينُ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا سَحَّاءُ اللَّيْلِ**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٤١٩) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٩٩٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ»، قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقَبْضَ، يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»(١).

- **فائدة: الأوجه التي وردت عليها صفة اليدين ثلاثة:**

الأول: الإفراد، كقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١].

الثاني: التثنية، كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

الثالث: الجمع، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ [يس: ٧١].

والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول: الوجه الأول مفرد مضاف، فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي الثنتين، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر وحينئذ لا ينافي التثنية، على أنه قد قيل: إن أقل الجمع اثنان، فإذا حُمِل الجمع على أقَلِّه فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلا.

- **الثالثة: قولُهُ تَعالىٰ إخْبارًا عَنْ عِيْسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قالَ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦].**

والنفس ثابتة لله - تعالى - بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف. ونَفْسُه - سبحانه - هي ذاته - عزَّ وجلَّ -.

---

(١) **متفق عليه**، وهو أحد ألفاظ الحديث السابق.

قال الله - تعالى -: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[الأنعام: ٥٤]، وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وأخبر عن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[المائدة: ١١٦].

ومن **السُّنَّة**: قول الله - تعالى - في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**...»(١)، وقولُه تعالى: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي**..»(٢). وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ؛ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(٣).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويراد بنَفْس الشيء ذاتُه وعينُه، كما يقال: رأيت زيدا نفسَه وعينَه، وقد قال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]. .. - وذكر جملة من النصوص، ثم قال: - فهذه المواضع المراد فيها بلفظ (النفس) عند جمهور العلماء: الله نفسه، التي هي ذاته المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتا منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٧٧)، من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٦)، من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

للذات، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ»[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد بنفسه: ذاته - عزَّ وجلَّ -، كما قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وليس النفسُ صفة كسائر الصفات؛ كالسمع والعلم والقدرة، فالنفس يعني: الذات، فقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾، يعني: ذاته»[2].

- **الرابعة: وَقَولُهُ سُبْحانَهُ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢]، وَقَولُهُ تَعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢١٠].**

والمجيء والإتيان صفتان فعليتان ثابتتان بالكتاب والسنة.

فمن الكتاب: قولُه تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقولُه: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ...﴾ [البقرة:٢١٠].

ومن السنة: قولُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الحديث القدسي: «**إِذَا تَلَقَّانِي عَبْدِي بِشِبْرٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِذِرَاعٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِبَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ أَتَيْتُهُ بِأَسْرَعَ**»[3].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٩/ ٢٩٢-٢٩٣).

(٢) «شرح الأربعين النووية» (ص: ٢٤٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وفسره أهل التعطيل بمجيء أمره. والرَّدُّ عليهم:

إن قولهم خلاف ظاهر النصوص، وخلاف طريقة السلف، وليس عليه دليل صحيح.

- **الخامسة: قَولُهُ تَعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة:١١٩].**

والرضا صفة من صفات الله - عزَّ وجلَّ - الفعليَّة الثابتة بالكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب عليها، قوله تعالى: **﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾** [المائدة:١١٩]، وقولُه: **﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾** [الفتح: ١٨].

ومن السنة، قولُه ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سُخْطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ**»(١).

وقوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»(٢).

وقد فسره أهل التعطيل بالثواب، والرَّدُّ عليهم:

إن قولهم خلاف ظاهر النصوص، وخلاف طريقة السلف، وليس عليه دليل صحيح.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٤٢٧)، والترمذي (٣٥٦٦)، والنسائي (١٧٤٧)، وابن ماجه (١١٧٩)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٣٤).

- **السادسة: وَقَولُهُ تَعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤].**

والحب والمحبة صفة فعلية لله - عزَّ وجلَّ -، ثابتة بالكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب عليها، قولُه تعالى: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة:٥٤].

ومن السنة، قوله ﷺ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**»(١).

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعًا: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ**»(٢).

وقد فسرها أهل التعطيل بالثواب، والرَّدُّ عليهم:

إن قولهم خلاف ظاهر النصوص، وخلاف طريقة السلف، وليس عليه دليل صحيح.

فائدة: أعلى درجات المحبة هي الخُلَّة، وهي ثابتة لله - تعالى -، ولم تثبت منه تعالى إلا لاثنين من بني آدم؛ هما: إبراهيم ومحمد - عليهما الصلاة والسلام -.

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦)، من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٩٦٥).

قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدِ اتَّخَذَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا**»(١)، يعني نفسه ﷺ.

- **السابعة: قَولُهُ: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفتح:٦، المجادلة:١٤، الممتحنة:١٣]، وَقَولُهُ تَعالى: ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد:٢٨].**

هاتان صفتان فعلِيَّتان ثابتتان لله - عزَّ وجلَّ - بالكتاب والسنة.

أ- الغضب:

فمن أدلة الكتاب، قوله تعالى: ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٩]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الممتحنة: ١٣].

ومن السنة، قوله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**»(٢)، وقوله ﷺ في حديث الشفاعة الطويل: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٨٣).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٤٢٢)، وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٧٥١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٧١٢) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٩٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفسَّره أهل التعطيل بـ(الانتقام). والرَّدُّ عليهم:

إن قولهم خلاف ظاهر النصوص، وخلاف طريقة السلف، وليس عليه دليل صحيح.

وبوجه رابع، وهو: أن الله - تعالى - غايَر بين الغضب والانتقام، فقال تعالى: ﴿**فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا**﴾، أي: أغضبونا ﴿**ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ**﴾ [الزخرف: ٥٥]، فجعل الانتقام نتيجة للغضب؛ فدل على أنه غيره.

ب- السخط:

فمن أدلة الكتاب على هذه الصفة، قولُه تعالى: ﴿**لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ**﴾ [المائدة: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُ**﴾ [محمد: ٢٨].

ومن السنة، حديثُ أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «**إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟! فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»[1].

وفسره أهل التعطيل بـ(الانتقام)، والرَّدُّ عليهم بما سبق.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٥٤٩) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٨٢٩).

- **الثامنة: وَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ [التوبة:٤٦].**

والكُره صفة فعلية ثابتة لله جَلَّجَلَالُهُ بالكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب، قوله تعالى: ﴿**وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ**﴾ [التوبة:٤٦].

ومن السنة، ما رواه المغيرة بن شعبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ**»[1].

وفسَّر أهلُ التعطيل الكراهةَ بـ(الإبعاد)، والرَّدُّ عليهم:

إن قولهم خلاف ظاهر النصوص، وخلاف طريقة السلف، وليس عليه دليل صحيح.

- **التاسعة: ومِنَ السُّنَّةِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنا - تَبارَكَ وَتَعالىٰ - كُلَّ لَيْلَةٍ إِلىٰ السَّماءِ الدُّنْيا»[2].**

بعد سياق المؤلف للآيات شرع رَحِمَهُٱللَّهُ في ذكر بعض أحاديث الصفات.

ومنها صفة (**النُّزول**) إلى السماء الدنيا، وورد - أيضا - بلفظ الهبوط.

وهي صفات فعلية ثابتة لله - عزَّ وجلَّ - بالسنَّة الصحيحة.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٩٧٥) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٥٩٣).

(٢) تقدم تخريجه.

ومن أدلتها حديث النُّزول المشهور: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ...**»[(١)].

وعن علي بن أبي طالب وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعا: «**لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ، وَلَأَخَّرْتُ عِشَاءَ الْآخِرَةِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ هَبَطَ اللَّهُ - تَعَالَى - إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمْ يَزَلْ هُنَاكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ...**»[(٢)].

وفسَّره أهل التعطيل بـ (نزول أمره، أو رحمته، أو ملك من ملائكته)، والرَّدُّ عليهم بما سبق.

وبوجه رابع، وهو: أن الأمر ونحوه لا يمكن أن يقول: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلْنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»!.

- **العاشرة: وقولُه ﷺ: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ»[(٣)].**

والعَجَب من صفات الله - عزَّ وجلَّ - الفعليَّة، الثابتة له بالكتاب والسنة.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد في مسنده (٩٦٧)، والدارمي (١٥٢٥)، وحسنه محققو المسند.

(٣) تقدم تخريجه.

فمن أدلة الكتاب، قوله تعالى: ﴿**بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ**﴾، بضم التاء، وهي قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الباقون بفتحها. وقد صحَّت القراءة بالضم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن السنة، حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ**»[1].

وفي قصة الرجل الأنصاري مع امرأته الذين آثروا الضيف بطعامهم، أنه لما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فقال له: «**قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**»[2].

وفسره أهل التعطيل بـ(المجازاة)، والرَّدُّ عليهم بما سبق.

- **الحادية عشرة: قَوْلُهُ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ؛ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، يَدْخُلاَنِ الجَنَّةَ»[3].**

والضَّحِك من الصفات الفعلية الثابتة لله - عزَّ وجلَّ - بالأحاديث الصحيحة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٠١٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٥٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) تقدم تخريجه.

ومن أدلتها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «**يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ؛ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، يَدْخُلاَنِ الجَنَّةَ**»(١).

وفسره أهل التعطيل بـ(الثواب). والرَّدُّ عليهم بما سبق.

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَهذا وَما أَشْبَهَهُ، مِمَّا صَحَّ سَنَدُهُ، وَعُدِّلَتْ رُواتُهُ، نُؤْمِنُ بِهِ، وَلا نَرُدُّهُ، وَلا نَجْحَدُهُ، وَلا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأْوِيلٍ يُخالِفُ ظاهِرَهُ، ولا نُشَبِّهُهُ بِصِفاتِ المَخْلُوقِيْنَ، وَلا بِسِماتِ المُحْدَثِيْنَ، وَنَعْلَمُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا شَبِيْهَ لَهُ، وَلا نَظِيْرَ، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١]، وَكُلُّ ما تُخُيِّلَ فِي الذِّهْنِ أَوْ خَطَرَ بالبَالِ، فَإِنَّ اللهَ - تَعالىٰ - بِخِلافِهِ».

وهذا هو القاعدة العامة في صفات الله - تعالى - الثابتة بالكتاب أو السنة الصحيحة.

وسبق للمؤلف أن قرر ذلك بقوله: «وَكُلُّ ما جاءَ فِي القُرْآنِ أَوْ صَحَّ عَنِ المُصْطَفَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ صِفاتِ الرَّحْمٰنِ؛ وَجَبَ الإِيْمانُ بِهِ، وتَلَقِّيهِ بالتَّسْلِيْمِ والقَبُولِ، وتَرْكِ التَّعَرُّضِ لَهُ بالرَّدِّ والتَّأْوِيْلِ، والتَّشْبِيْهِ والتَّمْثِيْلِ».

---

(١) تقدم تخريجه.

وقال في أول المتن: «لا تُمَثِّلُهُ العُقُولُ بِالتَّفْكِيرِ، وَلا تَتَوَهَّمُهُ القُلُوبُ بِالتَّصْوِيرِ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]».

- **الثانية عشرة: وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾** [طه:٥].

والاستواء على العرش صفة فعلية ثابتة لله - عَزَّ وجَلَّ - بالكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب، قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وذُكر الاستواء في القرآن في سبعة مواضع[(١)].

ومعنى الاستواء: العلو، والارتفاع، والاستقرار، والصعود.

والعرش أعظم المخلوقات وأعلاها، وعليه استوى ربنا استواء يليق بجلاله.

وصفه الله بالعظمة ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وبالمجد ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [البروج:١٥] - على قراءة الكسر -، وبالكرم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦]، وله قوائم، ويحمله حَمَلَةٌ من الملائكة عظام الخلق، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧].

والعرش فوق جنة الفردوس؛ لقوله ﷺ: «**فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**»[(٢)].

---

(١) ينظر: [الأعراف:٥٤، ويونس:٣، والرعد:٢، وطه:٥، والفرقان:٥٩، والسجدة:٤، والحديد:٤].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٤٢٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد فسره أهل التعطيل بـ(الاستيلاء). والرد عليهم بما سبق.

ونزيد وجها رابعا: أنه لا يُعرف في اللغة العربية بهذا المعنى.

ووجها خامسا: أنه يلزم عليه لوازم باطلة مثل أن العرش لم يكن مِلكًا لله، ثم استولى عليه بعد.

الثالثة عشر: قَولُهُ تَعالى: ﴿**ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ**﴾ [الملك:١٦]، وَقَولُ النَّبِيِّ ﷺ: «**رَبُّنَا اللهُ الَّذِيْ فِي السَّماءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ**»(١)، وَقالَ لِلْجارِيَةِ: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قالَتْ: فِي السَّماءِ. قالَ: «**أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»(٢)، رَواهُ مالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُما مِنَ الأَئِمَّةِ.

وَقالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحُصَيْنٍ: «**كَمْ إِلٰهًا تَعْبُدُ؟**» قالَ: سَبْعَةً: سِتَّةً فِي الأَرْضِ، وَواحِدًا فِي السَّماءِ، قالَ: «**مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟**» قالَ: الَّذِيْ فِي السَّماءِ، قالَ: «**فَاتْرُكِ السِّتَّةَ، وَاعْبُدِ الَّذِيْ فِي السَّماءِ، وَأَنا أُعَلِّمُكَ دَعْوَتَيْنِ**»، فَأَسْلَمَ، وَعَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «**اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِيْ، وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي**»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

وَفِيمَا نُقِلَ مِنْ عَلَامَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فِي الكُتُبِ المُتَقَدِّمَةِ أَنَّهُمْ يَسْجُدُونَ بِالأَرْضِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ إِلَهَهُمْ فِي السَّمَاءِ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ كَذَا وَكَذَا ...**، وَذَكَرَ الخَبَرَ إِلَى قَوْلِهِ: **وَفَوْقَ ذَلِكَ العَرْشُ، وَاللهُ - سُبْحَانَهُ - فَوْقَ ذَلِكَ**»[1].

ذكر المؤلف آية، وأربعة أحاديث في إثبات صفة العلو والفوقية.

والعلو صفة ذاتية ثابتة لله - عزَّ وجلَّ - بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة، ومن أسمائه (العَلِي) و(الأعلى) و(المتعال).

والعُلُوُّ قسمان:

١- عُلو ذات (عُلو فوقِيَّة).

٢- وعُلو صفة، بمعنى: أن صفاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عُليا، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه، فيدخل فيه عُلُو القدر، وعلو القهر والغلبة.

وأهل السنة والجماعة يعتقدون أنَّ الله فوق جميع مخلوقاته، مستوٍ على عرشه، في سمائه، عالٍ على خلقه، بائنٌ منهم، لا تخفى عليه خافية.

والأدلة من الكتاب والسنة كثيرة جدا، منها ما ذكره المؤلف، ومن ذلك أيضا:

---

(١) تقدم تخريجه.

قولُه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

وفي قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، وقول الجارية: «اللهُ فِي السَّماءِ»، ليس المعنى أن السماء ظرف لله - تعالى -، بل تُحمَل على أحد معنيين:

الأول: أن «**فِي**» بمعنى على، كما في قول فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١].

الثاني: أن السماء بمعنى العلو.

وأفرد هذه الصفة بالتصنيف جماعةٌ من أهل العلم قديما وحديثا، وبلغت ما يقارب خمسة عشر كتابا في هذه الصفة، ومنهم المؤلف ابن قدامة، فله كتاب «إثبات صفة العلو».

- **تنبيه: وقع الانحراف في هذه الصفة على مذهبين:**

الأول: مذهب الحلول[1]. وهو قول الجهمية.

---

(١) **فائدة: معنى الحلول والاتحاد، والفرق بينهما:**

يتكرر مصطلح الحلول والاتحاد؛ فما معناهما؟ وهل بينهما فرق؟

الحلول: معناه أن يحِلَّ أحد الشيئين في الآخر.

الثاني – من المذاهب المنحرفة في صفة العلو –: مذهب الأشاعرة.

قالوا: إنَّ الله لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلا به ولا منفصلا عنه!.

وهذا صفة المعدوم!، كما قال بعض أهل العلم.

والاتحاد: يعني كون الشيئين شيئا واحدا، ففيه معنى الامتزاج.

ومعناه باصطلاح القائلين به: اتحاد الله – عز وجل – بمخلوقاته، أو ببعض مخلوقاته.

أي اعتقاد أن وجود الكائنات أو بعضها هو عين وجود الله – تعالى –.

والفرق بين الحلول والاتحاد:

١. أن الحلول إثبات لوجودين، بخلاف الاتحاد فهو إثبات لوجود واحد.

٢. أن الحلول يقبل الانفصال، أما الاتحاد فلا يقبل الانفصال.

مثال توضيحي:

السُّكَّر إذا وضعته في الماء دون تحريك فهو حلول؛ لأن هناك ذاتين، أما إذا حركته، فذاب في الماء صار اتحادا؛ لأنه لا يقبل أن ينفصل مرة أخرى. أما لو وضعت شيئا آخر في الماء كأن تضع حصاة فهذا يسمى حلولا لا اتحادا؛ لأنها أصبحت هي والماء شيئين قابلين للانفصال.

مثال آخر: ورقة الشاي التي توضع في الماء المغلي؛ فبمجرد وضعها وتحريكها يتغير لون الماء ويصبح شايًا، لا ماءً. فهو بهذا الاعتبار اتحاد؛ لأن الماء والشاي لا يمكن أن ينفصلا. وورقة الشاي يمكنك رفعها وفصلها؛ فالحالة – بهذا الاعتبار – حلول لا اتحاد.

وممن قال بالحلول: الجهمية. وممن قال بالاتحاد: غلاة الصوفية؛ كابن الفارض، وابن عربي، وغيرهما. وهؤلاء يسمون الاتحادية، أو أهل وحدة الوجود.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَهٰذا وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا أَجْمَعَ السَّلَفُ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ عَلىٰ نَقْلِهِ وقَبُولِهِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوْا لِرَدِّهِ وَلا تَأْوِيلِهِ وَلا تَشْبِيهِهِ ولا تَمْثِيلِهِ.

سُئِلَ الإِمامُ مالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فَقِيلَ: يا أبا عَبْدِ اللهِ، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] كَيْفَ اسْتَوى؟ فَقالَ: الاسْتِواءُ غيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، والإِيْمانُ بِهِ واجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّجُلِ فَأُخْرِجَ[1]».

وفي بعض الروايات أنه لما سئل: كيف استوى؟ أطرق برأسه حتى علاه الرُّحَضاء.

وقد ورد هذا المعنى عن شيخ مالك، ربيعة بن أبي عبد الرحمن، المعروف بربيعة الرأي.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وروى الخلال بإسناد - كلهم أئمة ثقات - عن سفيان بن عيينة، قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، كيف استوى؟. قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق»[2].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٠).

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا القول محفوظ عن جماعة؛ كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي. فأما عن أم سلمة، فلا يصح»[1].

وجواب الإمام مالك قاعدة ذهبية في باب الأسماء والصفات.

وقوله: «**الاستواء غير مجهول**»، أي: معلوم المعنى، وهو العلو والاستقرار كما سبق.

وقوله: «**والكيف غير معقول**»، أي: كيفية الاستواء غير مدركة بالعقل؛ لأن الله - تعالى - أعظم وأجل من أن تدرِكَ العقولُ كيفية صفاته، أخبرنا أنه استوى، ولم يخبرْنا عن كيفية ذلك.

قوله: «**والإيمان به**»، أي: الاستواء، «**واجب**»؛ لثبوته في الكتاب والسنة.

قوله: «**والسؤال عنه**»، أي: عن الكيف، «**بدعة**»؛ لأن السؤال عنه لم يكن في عهد النبي ﷺ، وأصحابه.

ثم أمر بالسائل فأُخرِج من المسجد؛ خوفا من أن يفتن الناس في عقيدتهم، وتعزيرًا له بمنعه من مجالس العلم.

- **الرابعة عشر**: «مِنْ صِفاتِ اللهِ - تَعالىٰ - أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلامٍ قَدِيْمٍ، يُسْمِعُهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ. سَمِعَهُ مُوسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وسَمِعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وَمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْ مَلائِكتِهِ، وَرُسُلِهِ.

---

(١) «العلو» ص ٦٥.

وَأَنَّهُ – سُبْحَانَه – يُكَلِّمُ المُؤمِنِيْنَ فِي الآخِرَةِ، وَيُكَلِّمُوْنَهُ، ويَأْذَنُ لَهُمْ فَيَزُوْرُوْنَهُ، قالَ اللهُ – تَعالى –: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤]، وَقالَ – سُبْحانَهُ –: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:١٤٤]، وقالَ – سُبْحانَهُ –: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٥٣]، وقالَ – سُبْحانَهُ –: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١]، وقالَ – سُبْحانَهُ –: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه:١١-١٢]، وقالَ – سُبْحانَهُ –: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه:١٤] وَغَيْرُ جائِزٍ أَنْ يَقُولَ هٰذا أَحَدٌ غيْرُ اللهِ.

وَقالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالوَحْيِ سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّماءِ»، رُوِي ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ(١).

وَرَوىٰ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ: «**يَحْشُرُ اللهُ الخَلائِقَ يَوْمَ القِيامَةِ عُرَاةً حُفاةً غُرْلاً بُهْمًا، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ**»(٢)، رَواهُ الأَئِمَّةُ، وَاسْتَشْهَدَ بِهِ البُخارِيُّ.

وَفِي بَعْضِ الآثارِ: أَنَّ مُوسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةَ رَأَىٰ النَّارَ فَهَالَتْهُ، فَفَزِعَ منْها، فَنَاداهُ رَبُّهُ: يا مُوْسَى! فَأَجابَ سَرِيْعًا؛ اسْتِئْناسًا بِالصَّوْتِ، فَقَالَ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ،

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

أَسْمَعُ صَوْتَكَ وَلا أَرَىٰ مَكانَكَ، فَأَيْنَ أَنْتَ؟! فَقالَ: أَنا فَوْقَكَ، وَأَمَامَكَ، وعَنْ يَمِيْنِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، فَعَلِمَ أَنَّ هٰذِهِ الصِّفَةَ لا تَنْبَغِي إلاَّ للهِ - تَعالى -. قالَ: كَذَلِكَ أَنْتَ، يَا إِلٰهِي! أَفَكَلامَكَ أَسْمَعُ أَمْ كَلامَ رَسُوْلِكَ؟ قالَ: بَلْ كَلامِيْ، يا مُوسَى».

هذه الصفة الرابعة عشر، وهي صفة الكلام، واستطرد فيها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذكر في تقريرها ست آيات، وحديثين، وأثرا إسرائيليا.

والكلام عليها في مبحثين:

المبحث الأول: عقيدة أهل السنة والجماعة في صفة الكلام:

أهل السنة يثبتون الكلام، والقول، والحديث، والنداء، والصوت، والحرف. بمعنى أنَّ الله - عَزَّ وجَلَّ - يتكلم، ويقول، ويتحدث، وينادي، وأنَّ كلامه بصوت وحرف.

وكلام الله صفة ذاتية فعلية: ذاتية باعتبار أصلها، وفعلية باعتبار آحادها. وبعضهم يعبِّر عن هذا المعنى بقوله: كلام الله قديم النوع، حادث الآحاد.

ومعنى قديم النوع: أن الله لم يزل ولا يزال متكلما، ليس الكلام حادثا منه بعد أن لم يكن. ومعنى حادث الآحاد: أن آحاد كلامه، أي الكلام المعين المخصوص حادث؛ لأنه متعلق بمشيئته، متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء.

المبحث الثاني: الأدلة على صفة الكلام:

هذه الصفة ثابتة لله جَلَّجَلَالُهُ بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

فمن أدلة الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤].

٢- وقال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وهذا كلام مكتوب، فكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُكتب.

٣- وقال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وهذا كلام مسموع، فكلام الله - عزَّ وجلَّ - يُسمَع.

٤- وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه:١١-١٢]، وهذا نداء بصوت مسموع.

٥- وقال - سبحانه -: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٨٧].

والأدلة من السنة كثيرة، منها:

١- ما ذكره المؤلف عن عبد الله بنُ أُنَيس عن النبي ﷺ أنَّه قالَ: «**يَحْشُرُ اللهُ الخَلائِقَ يَوْمَ القِيامَةِ عُرَاةً حُفاةً غُرْلاً بُهْمًا، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ**»(١).

(١) تقدم تخريجه.

٢- ما ذكره المؤلف - بمعناه - عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ...**»[(١)].

وعلَّقَه البخاري موقوفا بصيغة الجزم، ومثلُه لا يقال من قبيل الرأي.

٣- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «**يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وجلَّ - يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ ..**»[(٢)].

وقوله: «وَأَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - يُكَلِّمُ الْمُؤمِنِيْنَ فِي الآخِرَةِ، وَيُكَلِّمُوْنَهُ»، يشهد له حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ ...**»[(٣)].

وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) **متفق عليه:** أخرجه البخاري في صحيحه (٤٧٤١) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٢٢).

(٣) تقدم تخريجه.

المقطع الرابع

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فَصْلٌ:

وَمِنْ كَلَامِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - القُرْآنُ العَظِيمُ، وَهُوَ كِتَابُ اللهِ المُبِينُ، وَحَبْلُهُ المَتِينُ، وَصِرَاطُهُ المُسْتَقِيمُ، وتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الأَمِينُ، عَلَىٰ قَلْبِ سَيِّدِ المرسَلِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وإِلَيْهِ يَعُودُ.

وَهُوَ سُوَرٌ مُحْكَمَاتٌ، وَآيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَحُرُوفٌ وكَلِمَاتٌ، مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَناتٍ، لَهُ أَوَّلٌ وآخِرٌ، وأَجْزَاءٌ وَأَبْعَاضٌ، مَتْلُوٌّ بِالأَلْسِنَةِ، محفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مَسْمُوعٌ بِالآذَانِ، مَكْتُوبٌ فِي المَصَاحِفِ، فِيهِ مُحْكَمٌ ومُتَشَابِهٌ، وناسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ: ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، وقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨].

وَهَٰذَا هُوَ الكِتَابُ العَرَبِيُّ الَّذِي قَالَ فِيهِ الَّذِينَ كَفَرُوا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [سبأ:٣١]، وَقَالَ بَعْضُهُم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]، فَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:٢٦]،

وَقَالَ بَعْضُهم هو شِعْرٌ، فَقَالَ اللهُ - تعَالَى -: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس:٦٩]، فَلَمَّا نَفَى اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ شِعْرٌ، وَأَثْبَتَهُ قُرْآنًا = لَمْ يُبقِ شُبْهةً لِذِي لُبٍّ فِي أَنَّ القُرْآنَ هُوَ هَذَا الكِتَابُ العَرَبِيُّ الَّذِي هُوَ حُرُوفٌ، وكَلِمَاتٌ، وَآيَاتٌ؛ لِأَنَّ مَا لَيْسَ كَذَلِكَ لَا يَقُولُ أَحَدٌ إِنَّه شِعْرٌ.

وَقَالَ - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٣]، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَحَدَّاهُمْ بِالإتْيانِ بِمِثْلِ مَا لَا يُدْرَىٰ مَا هُوَ وَلَا يُعْقَلُ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ﴾ [يونس:١٥]، فَأَثْبَتَ أَنَّ القُرْآنَ هُوَ الآيَاتُ الَّتِي تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٧- ٧٩]، بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ عَلَىٰ ذَلِكَ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم:١]، ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى:١-٢]، وَافْتَتَحَ تِسْعًا وعِشْرِينَ سُورَةً بِالحُرُوفِ المُقَطَّعَةِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ**»(١)، حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ: «**اقْرَؤُوا القُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيْمُونَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ السَّهْمِ، لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهُمْ، يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلاَ يَتَأَجَّلُونَهُ**»(٢).

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِعْرابُ القُرآنِ أَحَبُّ إلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بعْضِ حُرُوفِهِ(٣).

وقالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ(٤).

واتَّفَقَ المُسْلِمُونَ عَلَىٰ عَدِّ سُوَرِ القُرْآنِ وَآيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ وحُرُوفِهِ.

وَلَا خِلَافَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ القُرآنِ سُورَةً أَو آيَةً أَو كَلِمَةً أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَفِي هَذَا حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ حُرُوفٌ».

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٥٧٤) بنحوه، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٦٥٨٥)، وقال: لا أصل له بهذا اللفظ مطلقا في شيء من طرقه التي وقفنا عليها.

(٢) **حسن صحيح**: أخرجه أبو داود (٨٣١)، وأحمد (٢٢٨٦٥)، وابن حبان (٧٦٠)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٣) أخرجه ابن الأنباري في «الإيضاح»، كما في «كنز العمال» (٢/ ٣٣٦/ ٤١٧٦).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣٠١٠٩).

الشرح:

هذا المقطع في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم، وهو من كلام الله – تعالى –.

والكلام على هذا المقطع في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم:

عقيدتهم: أن القرآن الكريم كلامُ الله – تعالى –، منزَّل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، فهو كلام الله حروفه ومعانيه.

والدليل على أنه كلام الله: قولُه تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، يعني: القرآن.

والدليل على أنه منزل: قولُه تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١]، وغيرها من الآيات.

والدليل على أنه غير مخلوق: قولُه تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فجعل الأمر غير الخلق.

والقرآن من الأمر؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق:٥].

وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن: ١-٣]، فنسب العلم إلى القرآن، والخلق إلى الإنسان، فالقرآن من علم الله - تعالى -، وعلم الله ليس بمخلوق، ولأن كلام الله صفة من صفاته، وصفاته غير مخلوقة.

والدليل على أنه منه بدأ: أن الله أضافه إليه، ولا يُضاف الكلام إلا إلى من قاله مبتدئا.

ومعنى «مِنْهُ ابْتَدَأَ»: أن الله هو الذي تكلم به حقيقة، بحرف وصوت ابتداء، وليس كلاما لجبريل ولا لغيره من الملائكة.

والدليل على أنه إليه يعود: عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ - عزَّ وجلَّ - فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ ...**»[1].

- **فائدة: القرآن الكريم له ثلاث مراتب:**

الأولى: الكتابة في اللوح المحفوظ. قال تعالى: ﴿**إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ**﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٨].

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩)،والحاكم (٨٤٦٠)، وصححه الألباني.

الثانية: نزوله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا.

الثالثة: تَكَلُّمُ الله به، ونزول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بذلك على النبي ﷺ مُفَرَّقا بحسب الحوادث، في ثلاث وعشرين سنة؛ مُدَّة البعثة.

ودليل هذا: ما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أُنزِل القرآنُ كلُّه جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا، فكان الله إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئا أنزله منه حتى جَمَعَه»(١).

وفي لفظ قال: «فُصِلَ القرآنُ من الذِّكْرِ، فوُضِع في بيت العزة في السماء الدنيا، فجعل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزله على النبي ﷺ، ويرتله ترتيلا»(٢).

المبحث الثاني: الدليل على أن القرآن حروف وكلمات:

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ لذلك ثمانية أدلة:

الأول: أن الكفار قالوا: إنه شعر، ولا يمكن أن يوصف بذلك إلا ما هو حروف وكلمات.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/١٤٥).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/٢٤٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وصححه الحافظ في «الفتح» (٩/٤).

الثاني: أن الله تحدَّى المكذِّبين به أن يأتوا بمثله، ولو لم يكن حروفا وكلمات لكان التحدي غير مقبول؛ إذ لا يمكن التحدي إلا بشيء معلوم يدرى ما هو.

الثالث: أن الله أخبر بأن القرآن إذا يتلى عليهم، ﴿**قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُ**﴾[يونس: ١٥]، ولا يتلى إلا ما هو حروف وكلمات.

الرابع: أن الله أخبر بأنه محفوظ في صدور أهل العلم، ومكتوب في اللوح المحفوظ، فقال تعالى: ﴿**بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ**﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿**إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ**﴾ [الواقعة: ٧٧- ٧٩]، ولا يُحفظ ويُكتَب إلا ما هو حروف وكلمات.

الخامس: قول النبي ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ**»(١).

ومعنى إعرابه: أن يقرأه قراءة صحيحة، ليس فيها لحن.

والمشهور حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ: (﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ)، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٩١٠)، و أبو نعيم في الحلية (٦/٢٦٣)، وصححه الألباني.

السادس: قول أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه»(١).

السابع: قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من كفر بحرف منه فقد كفر به كله»(٢).

الثامن: إجماع المسلمين - كما نقله المؤلف - على أن مَن جَحَد منه سورة أو آية، أو كلمة، أو حرفا مُتَّفقًا عليه، فهو كافر.

وعدَدُ سور القرآن أربع عشرة ومئة سورة، منها تسع وعشرون افتُتِحت بالحروف المقطعة.

وقوله: «**لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ وَأَجْزَاءٌ وَأَبْعَاضٌ، مَتْلُوٌّ بِالأَلْسِنَةِ، مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مَسْمُوعٌ بِالآذَانِ، مَكْتُوبٌ فِي المَصَاحِفِ**»، هذا فيه رد على مذهب الأشاعرة الذين يقولون: الكلام هو المعنى القائم بالنَّفْس - ويُعَبِّرون عنه بـ«الكلام النفسي» - وهو الكلام الحقيقيُّ، والألفاظ موضوعة للدَّلالة عليه. فقالوا: الكلام ليس بحروف ولا أصوات، والمتكلِّمُ من قام به الكلام، لا من أَوْجَد الكلام.

واستشهدوا بقول الأخطل:

إنَّ الكَلامَ لَفِيْ الفُؤادِ وَإنَّما ... جُعِلَ اللِّسانُ على الفُؤادِ دَلِيْلًا

وهذا من المباحث المتقدمة التي لا تناسب هذا المختصر.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

المبحث الثالث: أوصاف القرآن:

وصف الله القرآن الكريم بأوصاف عظيمة كثيرة، ذكر المؤلف منها ما يلي:

أولا: أنه كتاب الله المبين، أي: المُفصِح عما تضمَّنه من أحكام وأخبار.

ثانيا: أنه حبل الله المتين، أي: العهد القوي الذي جعله الله سببا للوصول إليه، والفوز بكرامته.

ثالثا: أنه سور محكمات أي: مُفصَّلُ السور، كل سورة منفردة عن الأخرى، والمحكمات المتقنات المحفوظات من الخلل والتناقض.

رابعا: أنه آيات بينات، أي علامات ظاهرات على توحيد الله، وكمال صفاته، وحُسن تشريعاته.

خامسا: أن فيه محكما ومتشابها، **فالمحكم**: ما كان معناه واضحا، **والمتشابه**: ما كان معناه خفيًّا. ولا يعارض هذا ما سبق من وصف القرآن بالإحكام؛ لأن الإحكام هناك بمعنى الإتقان والحفظ من الخلل والتناقض، وهنا بمعنى وضوح المعنى، وإذا ردَدْنا المتشابه هنا إلى المحكم صار الجميع مُحْكَما.

سادسا: أنه حَقٌّ لا يمكن أن يأتيه الباطل من أي جهة، ﴿**لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت:٤٢].

سابعا: أنه بريء مما وصفه به المكذبون من قولهم إنه شعر، قال تعالى: ﴿**وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ**﴾ [يس:٦٩]،

وهو - أيضا - بريء من قول بعضهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]، فقال اللهُ - سبحانه -: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:٢٦].

ثامنا: أنه معجزة لا يمكن لأحد أن يأتي بمثلها، وإن عاونه غيره، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨].

والقرآن له أسماء وأوصاف سبق الكلام عليها في شرح كتاب «أصول في التفسير».

المقطع الخامس

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فَصْلٌ:

وَالمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِأَبْصَارِهِم، وَيَزُورُونَهُ، ويُكَلِّمُهُم ويُكَلِّمُونَهُ، قَالَ اللهُ - تَعَالَى -: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المُطَفِّفين:١٥]، فَلَمَّا حَجَبَ أُولَئِكَ فِي حَالِ السُّخْطِ، دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ المُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ فِي حَالِ الرِّضَا، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سترَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هٰذا الْقَمَرَ، لا تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»، حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُتَفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَهَٰذَا تَشْبِيهٌ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ لَا لِلْمَرْئِيِّ بِالمَرْئِيِّ؛ فَإِنَّ اللهَ - تعالىٰ - لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ».

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٥٤) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٦٣٣)، من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الشرح:

رؤية الله في الآخرة ثابتة بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

فمن أدلة الكتاب: قول الله - تعالى -: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وقولُه تعالى: ﴿**كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ [المطففين: ١٥]، فلمَّا حَجَب الفُجَّارَ عن رؤيته دلَّ على أن الأبرار يرونه، وإلا لم يكن بينهما فرق.

وقولُه جَلَّجَلَالُهُ: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس: ٢٦]، وقد فُسِّرت ﴿**ٱلْحُسْنَىٰ**﴾ بالجنة، و﴿**زِيَادَةٌ**﴾ بالنظر إلى وجه الله الكريم، كما في الحديث الذي رواه مسلم[1].

ومن السنة: قولُ النبي ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هٰذا الْقَمَرَ، لا تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[2]. وعُدَّ هذا من المتواتر.

وهذا التشبيه للرؤية بالرؤية لا للمَرئيِّ بالمرئي؛ لأن الله ليس كمثله شيء، ولا شبيه له ولا نظير.

---

(١) ينظر: صحيح مسلم (١٨١).

(٢) تقدم تخريجه.

وأجمع السلف على رؤية المؤمنين لله - تعالى - دون الكفار بدليل الآية الثانية. فإنهم يرون الله - تعالى - في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة كما يشاء الله - تعالى -. وهي رؤية حقيقية تليق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهي الغاية القصوى في نعيم الآخرة، والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة.

وفسَّرها أهل التعطيل بـ(رؤية ثواب الله، أو رؤية العلم واليقين).

ونَرُدُّ عليهم باعتبار التأويل الأول بما سبق: إن قولهم خلاف ظاهر النصوص، وخلاف طريقة السلف، وليس عليه دليل صحيح.

وبوجه رابع، باعتبار التأويل الثاني: أن العلم واليقين حاصل للأبرار في الدنيا، وسيحصل للفجار في الآخرة.

- **تنبيه:** رؤية الله عيانا في الدنيا مستحيلة؛ لقوله تعالى لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - وقد طلب رؤية الله -: ﴿**لَن تَرَىٰنِي**﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والصحيح أن النبي ﷺ لم يرَ ربه في ليلة الإسراء والمعراج، كما ثبت عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «**مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ**: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ**﴾ [الأنعام: ١٠٣] ...»[1].

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٧٣٨٠) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٧٧).

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**»(١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ﴿**مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ**﴾ [النجم: ١١]، ﴿**وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ**﴾ [النجم: ١٣]، قَالَ: «رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ»(٢).

وأمَّا في المنام؛ فقد دلَّت السُّنَّة على أن الله - تعالى - يُرى في المنام، كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَ: أَحْسَبُهُ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الأَعْلَى؟**...»(٣).

ونُقل ذلك عن بعض السلف.

وبيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ رؤية العبد لربِّه في المنام هي بحسب إيمانه، وبيَّن أن رؤيا المنام ليست كالرؤية في اليقظة؛ فللرؤيا المنامية أحكام، وللرؤية في اليقظة أحكام(٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٢٣٣)، وأحمد (٣٤٨٤)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح. سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث، فقال: (هذا حديث حسن صحيح)».

(٤) ينظر: «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٣٨٤).

المقطع السادس

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فَصْلٌ:

وَمِنْ صِفَاتِ اللهِ - تَعَالَىٰ -: أَنَّهُ الفَعَّالُ لِمَا يُرِيْدُ، لَا يَكُونُ شَيءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، وَلَا يَخْرُجُ شَيءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ، وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ شَيْءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْدِيرِهِ وَلَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ تَدْبِيرِهِ، وَلَا مَحِيدَ عَنِ الْقَدَرِ المَقْدُورِ، وَلَا يَتَجَاوَزُ مَا خُطَّ فِي اللَّوْحِ المَسْطُورِ، أَرَادَ مَا العَالَمُ فَاعِلُوهُ، وَلَوْ عَصَمَهُمْ لَمَا خَالَفُوهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُطِيْعُوهُ جَمِيعًا، لَأَطَاعُوهُ.

خَلَقَ الخَلْقَ وَأَفْعَالَهُم، وقَدَّرَ أَرْزَاقَهُم وَآجَالَهُم، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ، قَالَ اللهُ - تَعالى -: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]، وَقالَ اللهُ - تَعالى -: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، وَقالَ تَعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، وَقالَ تَعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢]، وَقالَ تَعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥].

وَرَوَىٰ ابْنُ عُمَرَ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، [وَتُؤْمِنَ] بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، فَقَالَ جِبْرِيلُ: صَدَقْتَ. رواه مسلم(١).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**آمَنْتُ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ**»(٢).

وَمِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، الَّذِي عَلَّمَهُ الحسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَدْعُو بِهِ فِي قُنُوتِ الوِتْرِ: «**وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ**»(٣).

وَلا نَجْعَلُ قَضَاءَ اللهِ وَقَدَرَهُ حُجَّةً لَنَا فِي تَرْكِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ وَنَعْلَمَ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيْنَا الحُجَّةَ بِإِنْزَالِ الْكُتُبِ، وَبَعْثَةِ الرُّسُلِ، قالَ اللهُ – تَعالى –: ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ**﴾ [النساء:١٦٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٨)، وأخرج البخاري نحوه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥٠).

(٢) **ضعيف جدا:** أخرجه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» ص ٣١- ٣٢، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٢٨٧)، وقال: وتسلسل إلَيَّ هذا الكلام، وهو كلام صحيح، لكن الحديث واه.

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٤٢٥) ، والترمذي (٤٦٤) ، و النسائي(١٧٤٥)، و ابن ماجه (١١٧٨)، وصححه الألباني.

وَنَعْلَمُ أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مَا أَمَرَ وَنَهَىٰ إِلَّا الْمُسْتَطِيعَ لِلْفِعْلِ والتَّرْكِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُجْبِرْ أَحَدًا عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ، وَلَا اضْطَرَّهُ إِلَىٰ تَرْكِ طَاعَةٍ، وَقَالَ اللهُ - تعالى -: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن:١٦]، وَقالَ تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ﴾[غافر:١٧].

فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ لِلْعَبْدِ فِعْلًا وَكَسْبًا يُجْزَىٰ عَلَىٰ حَسَنِهِ بِالثَّوَابِ، وَعَلَىٰ سَيِّئِهِ بِالعِقَابِ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ».

الشرح:

يدور هذا المقطع حول صفة المشيئة والإرادة، وما يتبع ذلك من الحديث عن الإيمان بالقدر. والكلام عليه في سبعة مباحث:

المبحث الأول: معنى الإيمان بالقدر، وحكمه، وأدلته:

المراد بالقَدَر: هو تقدير الله للكائنات حسب ما سبق به علمه، واقتضته حكمته.

والإيمان بالقَدَر واجبٌ، وهو أحد أركان الإيمان الستة. قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩].

وقال النبي ﷺ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١).

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌّ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَلَا مُكَذِّبٌ بِقَدَرٍ**»(٢).

وقال النبي ﷺ: «**آمَنْتُ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ**»(٣).

المبحث الثاني: معنى الخير والشر في قدر الله:

الخير والشَّر يكونان باعتبار العاقبة، والحلاوة والمرارة باعتبار وقت إصابته.

وخير القدر ما كان نافعًا، وشره ما كان ضارًّا أو مؤذيًا. والخير والشر هو بالنسبة للمَقْدور وعاقبتِه؛ فإن منه ما يكون خيرا كالطاعات والصحة والغنى، ومنه ما يكون شرًّا كالمعاصي والمرض والفقر.

أما بالنسبة لفعل الله - تعالى -، فلا يقال: إنه شر؛ لقول النبي ﷺ في دعاء القنوت الذي علمه الحسَن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ**»(٤).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٤٨٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٢١)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦٧٥).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

فأضاف الشر إلى ما قضاه لا إلى قضائه.

وفي دعاء الاستفتاح: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ...»[1]، وقال تعالى عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

المبحث الثالث: أركان الإيمان بالقدر:

أركان الإيمان بالقدر أربعة:

الركن الأول: العلم:

ويراد به: الإيمان بأن الله عالم بكل ما يكون جملة وتفصيلا بعلم سابق؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

الركن الثاني: الكتابة:

ويراد به: أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء؛ لقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، ونبرأها، أي: نخلق الخليقة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٧١)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولقوله ﷺ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»(1).

الركن الثالث: المشيئة:

ويراد به: أنه لا يكون شيء في السماوات والأرض إلا بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، لا يُسأل عما يفعل؛ لكمال حكمته وسلطانه، وهم يُسألون. وما وقع من ذلك فإنه مطابق لعلمه السابق، ولما كتبه في اللوح المحفوظ، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥]، فأثبت وقوع الهداية والضلال بإرادته.

الركن الرابع: الخلق:

ويراد به: أنَّ كل شيء في السماوات والأرض مخلوق لله – تعالى –، لا خالق غيرُه، ولا رب سواه، لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٥٣)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ومما يدخل في هذه المرتبة أفعال العباد؛ فهي داخلة في عموم خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فهي من الله خلقا وإيجادا وتقديرا، وهي من العباد فِعلا وكَسْبا، فالله هو الخالق لأفعالهم، وهم الفاعلون لها، قال تعالى - على لسان إبراهيم -: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وجمعت أركان القدر الأربعة في قول القائل:

علمٌ، كتابـةُ مولانـا، مشيئتُه ... كذاك خلق وإيجاد وتكوين[1]

المبحث الرابع: أنواع التقدير:

ينقسم التقدير الإلهي باعتبار عمومه وخصوصه إلى أربعة أقسام.

أولا: التقدير العام: وهو تقدير الرب لجميع الكائنات، بمعنى: علمه بها وكتابته لها.

ويدل على هذا النوع أدلة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وقال النبي ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»[2].

---

(١) أنشده غير واحد من أهل العلم، من غير نسبة إلى قائله. ينظر: «القول المفيد» (٢/ ٤٠٥).

(٢) تقدم تخريجه.

ثانيا: التقدير العمري: وهو تقدير كل ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله، وكتابةُ شقاوته أو سعادته.

وقد دل على ذلك قول النبي ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**»(١).

ثالثا: التقدير السنوي: وذلك في ليلة القدر من كل سنة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾ [الدخان: ٤].

قيل في تفسيرها: يُكتَب فيها - أي: في ليلة القدر - ما يحدث في السنة من موت، وحياة، وعِزٍّ، وذل، ورزق، ومطر .. حتى الحُجَّاج، يقال: يحج فلان، ويحج فلان(٢).

رابعا: التقدير اليومي: ويدل عليه قول الله - تعالى -: ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ [الرحمن: ٢٩].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٢٠٨) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) ينظر: «الدر المنثور» (٣٩٩/٧).

قيل في تفسيرها: شأنه أن يعز ويذل، ويرفع ويخفض، ويعطي ويمنع، ويغني ويُفقر، ويضحك ويبكي، ويميت ويحيي إلى غير ذلك[1].

المبحث الخامس: الاحتجاج بالقدر:

أفعال العباد من طاعات ومعاصٍ كلها مخلوقة لله - كما سبق -، ولكن ليس ذلك حُجَّة للعاصي على فعل المعصية، وذلك لأدلة كثيرة منها:

أولا: أن الله - سبحانه - أضاف عمل العبد إليه وجعله كَسْبا له، فقال: ﴿**ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ**﴾ [غافر: ١٧]، ولو لم يكن له اختيار في الفعل وقُدرة عليه = ما نُسِب إليه.

ثانيا: أن الله أمر العبد ونهاه، ولم يكلِّفه إلا ما يستطيع؛ لقوله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿**فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن: ١٦].

ولو كان مجبورا على العمل ما كان مستطيعا على الفعل أو الكفِّ؛ لأن المجبور لا يستطيع التخلص منه.

ثالثا: أنَّ كل واحد يعلم الفرق بين العمل الاختياري والإجباري، وأنَّ الأول يستطيع التخلص منه.

---

(١) ينظر: «الدر المنثور» (٧/٧٠٠).

رابعا: أنَّ العاصي قبل أن يُقدِم على المعصية لا يدري ما قُدِّر له، وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك، فكيف يسلك الطريق الخطأ ويحتج بالقدر المجهول؟! أليس من الأحرى أن يسلك الطريق الصحيح، ويقول : هذا ما قُدِّر لي؟!.

خامسا: أنَّ الله – سبحانه – أخبر أنه أرسل الرسل لقطع الحُجَّة: ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ**﴾[النساء: ١٦٥]، ولو كان القَدَر حُجة للعاصي = لَم تنقطع بإرسال الرسل.

سادسا: قال الله – تعالى –: ﴿**سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ**﴾، فهم قالوا هذا على سبيل الاحتجاج بالقَدَر على معصية الله، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿**كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَا**﴾، ولو كانت حجتُهم صحيحة ما أذاقهم الله بأسه، ثم قال تعالى: ﴿**قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۚ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ**﴾ [الأنعام: ١٤٨].

- **إشكال وجوابه:**

جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ! قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلاَمِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ**

قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» ثلاثًا[1]، أي غلبه بالحجة مع أن آدم احتج بقضاء الله وقدره. فما الجواب؟

الجواب:

هذا ليس احتجاجا بالقضاء والقدر على فعل العبد ومعصيته، لكنه احتجاج بالقدر على المصيبة الناتجة من فعله، فهو من باب الاحتجاج بالقدر على المصائب لا على المعائب؛ ولهذا قال: «**خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ**». ولم يقل: عصيت ربك فأُخرجت من الجنة.

إذن احتج آدم بالقدر على الخروج من الجنة الذي يعتبر مصيبة، والاحتجاج بالقدر على المصائب لا بأس به.

المبحث السادس: المخالفون في باب القضاء والقدر:

المخالفون للحق في القضاء والقدر طائفتان:

الطائفة الأولى: الجبرية؛ يقولون: العبد مجبور على فعله، وليس له اختيار في ذلك.

ونردُّ عليهم بأمرين:

أولا: أنَّ الله أضاف عمل الإنسان إليه وجعله كَسْبا له يُعاقَب ويُثاب بحسبه، ولو كان مجبورا عليه ما صح نسبته إليه ولكان عقابه عليه ظلما.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٦١٤) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٦٥٢).

ثانيا: أنَّ كل واحد يعرف الفرق بين الفعل الاختياري والاضطراري في الحقيقة والحكم، فلو اعتدى شخص على آخر وادَّعى أنه مجبور على ذلك بقضاء الله وقدره = لعُدَّ ذلك سَفَها مخالفا للمعلوم بالضرورة.

الطائفة الثانية: القدرية؛ يقولون: العبد مستقل بعمله ليس لله فيه إرادة، ولا قدرة، ولا خلق.

ونرد عليهم بأمرين:

أولا: أنه مخالف لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

ثانيا: أنَّ الله مالكُ السماوات والأرض فكيف يكون في مُلكِه ما لا تتعلق به إرادته وخلقه؟!

المبحث السابع: أقسام الإرادة والفرق بينها:

إرادة الله تنقسم إلى قسمين: كونية وشرعية:

أولا: الإرادة الكونية: هي التي بمعنى المشيئة، كقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ثانيا: الإرادة الشرعية: هي التي بمعنى المحبة، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٢٧].

والفرق بينهما:

١- أن الكونية يلزم منها وقوع المراد، والشرعية لا يلزم وقوعه.

٢- في الإرادة الشرعية يلزم أن يكون المراد فيها محبوبا لله - تعالى -، ولا يلزم ذلك في الكونية.

المقطع السابع

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فَصْلٌ:

وَالإِيْمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ وَعَقْدٌ بِالجَنَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالعِصْيَانِ.

قَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]، فَجَعَلَ عِبَادَةَ اللهِ - تَعَالَىٰ - وَإِخْلَاصَ القَلْبِ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، كُلَّهُ مِنَ الدِّينِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ**»(١).

فَجَعَلَ القَوْلَ وَالعَمَلَ مِنَ الإِيمَانِ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [التوبة:١٢٤]، وَقَالَ: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [الفتح:٤].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ أَوْ ذَرَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ**)(٢)، فَجَعَلَهُ مُتَفَاضِلًا».

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، واللفظ له.

(٢) ينظر: صحيح البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣).

الشرح:

الكلام على الإيمان في أربعة مباحث:

المبحث الأول: معناه وأهميته:

- **الإيمان في اللغة**: بمعنى الإقرار، وأصل اشتقاقه مأخوذ من الأمْن، وهو طمأنينة النفس، وضد الخوف[1]، وذلك لأن الإيمان الشرعي إذا تحقق للعبد حصل له الأمن والطمأنينة والسكون، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وأما في الاصطلاح، فالإيمان عند أهل السنة والجماعة: اعتقاد وقول وعمل، اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح.

فأصل الإيمان في القلب، قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٤]، وقال - جَلَّ وعَلا -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، ولكن هذه المعرفة القلبية لا تنفع صاحبها إذا لم يَتْبَعْها الانقيادُ بالقول والعمل، وإلا فإن إبليس كان مؤمنا بالله بقلبه، لكنه تكبَّر وأبى امتثال أمر ربه.

---

(١) ينظر: «لسان العرب» (١٣/ ٢١).

وقول اللسان مِن مُسمَّى الإيمان؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلَّوْا صَلاتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**»(١).

والقول منه ما لا يصح الإيمان إلا به؛ كالنطق بالشهادتين، ومنه ما هو من مُكمِّلات الإيمان؛ كالذكر والدعاء وتلاوة القرآن ونحو ذلك.

وأما دخول العمل في مُسمَّى الإيمان فدلَّت عليه دلائلُ كثيرة، منها قوله تعالى - بعد تشريع التوجه إلى المسجد الحرام في الصلاة، بعد أن كانت القبلة إلى بيت المقدس -: ﴿**وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ**﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس.

وفي الحديث عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ**»(٢).

وكما يكون فعلُ الخيرات من الإيمان، فكذا ترك المحرمات؛ خوفا من الله - تعالى -، هو من الإيمان، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ،**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٩٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٣).

وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً - يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا - وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[1].

وقد اجتمعت هذه الثلاثة - القول والعمل والقلب - في حديث واحد، وهو ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[2].

فهذه الأمثلة الثلاثة جمعت ما سبق، فقول: (لا إله إلا الله): قول باللسان، وإماطة الأذى عن الطريق: عمل بالجوارح، والحياء: أمر قلبي.

- **أهميته:**

خلق اللهُ الإنسانَ وركَّبَه من روح وجسد، ولكل منهما خصائصُ تختلف عن الآخر، كما أنَّ كلا منهما يحتاج إلى غذاء ليستمر في حياته، فالجسدُ غذاؤه الطعامُ والشراب ولو تركهما المرء لمات، والروحُ غذاؤها الإيمانُ الذي يمدها بالحياة الحقيقية الطيبة التي هي النور والسعادة والطمأنينة، قال تعالى: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا**﴾ [الأنعام: ١٢٢] والمعنى: أوَمن كان ميتا في الضلالة هالكا حائرا، فأحيينا قلبَه بالإيمان.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٤٧٥) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٥٧).

(٢) تقدم تخريجه.

الإيمان بالله هو أعظم المطالب، وأجلُّ المواهب، به تطمئن النفوس، وتطيب الحياة، وتنبعث الهمم، ويأنس الضَّعيف، ويسلو المهموم، وبه تُنال سعادة الدنيا والآخرة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أفضلُ ما اكتسبته النفوسُ، وحصلته القلوبُ، ونال به العبدُ الرفعةَ في الدنيا والآخرة = هو العلمُ والإيمان؛ ولهذا قرن بينهما - سبحانه - في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦]، وقوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبُّه، والمؤهلون للمراتب العالية»(١).

المبحث الثاني: الفرق بين الإسلام والإيمان:

الإسلام والإيمان من الدين، وبينهما تلازم، فإذا أُطلِق لفظ الإسلام دخل فيه الإيمان، وإذا أُطلِق لفظ الإيمان دخل فيه الإسلام، والفرق بينهما يظهر إذا جُمعا في سياق واحد، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، فنفى عنهم الإيمان، وأثبت الإسلام، مما يدل على الفرق.

---

(١) «الفوائد» ص١٠٣.

وفي الصحيحين عن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلانٍ؟ فَوَاللَّهِ، إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: «**أَوْ مُسْلِمًا**»...[1]، الحديث.

وفي حديث سؤال جبريل الطويل أنه سأل النبي ﷺ عن الإسلام، فأجابه بقوله: «**الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، ثم سأله عن الإيمان فأجابه: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[2].

فحاصل الفرق يظهَرُ إذا جُمع بينهما في سياق واحد، فيكون معنى الإسلام الأعمال الظاهرة، ويفسر الإيمان بالأعمال الباطنة.

ويشهد لهذا - أيضا - حديث أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ، وَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ**»[3].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٧) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٥٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) **ضعيف**: أخرجه أحمد في مسنده (١٢٣٨١)، وابن أبي شيبة (٣٠٣١٩)، وضعفه الأرناؤوط، والألباني في «ضعيف الجامع» (٢٢٨٠).

المبحث الثالث: مراتب الإيمان وأركانه:

- **مما ينبغي أن يعلم في باب الإيمان: أن الناس متفاوتون فيه، وهم على مراتب[1]:**

المرتبة الأولى: من معه أصل الإيمان، أو مطلق الإيمان:

وهو الحد الأدنى من الإيمان الذي يصح به إسلام العبد، وتثبت به أحكامه، وهو شرط النجاة من الخلود في النار. ويدخل في هذه المرتبة أصحاب الكبائر؛ فهم مؤمنون معهم أصل الإيمان الذي يُعَدُّون به من المسلمين.

المرتبة الثانية: الإيمان الواجب:

وهو الإيمان الذي يحمل صاحبه على فعل الواجبات وترك المحرمات.

المرتبة الثالثة: الإيمان المستحب:

وهو تحقيق الواجبات وترك المحرمات، ويزيد على ذلك المسابقة إلى أنواع الخيرات من المستحبات والمندوبات.

وقد أشار القرآنُ الكريم إلى هذه المراتب في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ**﴾ [فاطر: ٣٢]. فالمسلم الذي لم يقُم بواجب الإيمان هو الظالم لنفسه، والمقتصد هو المؤمن

---

(١) ينظر: «نواقض الإيمان» للوهيبي ص٩٤.

المطلق الذي أدى الواجب وترك المحرم؛ والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عَبَد الله كأنه يراه.

- **أركان الإيمان:**

لا يقوم بنيان الإيمان إلا على أركان تحمله، فإذا تخلَّف ركن منها سقط البناء، وهذه الأركان والأصول ستة هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. وقد جاء ذكر هذه الأصول في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواطن عديدة منها:

قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا**﴾ [النساء: ١٣٦].

وما ثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشهور بحديث جبريل: أن جبريل سأل النبي ﷺ فقال: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١).

(١) تقدم تخريجه.

المبحث الرابع: زيادة الإيمان ونقصانه:

• المذهب الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص؛ لأدلة كثيرة منها:

أولا: قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ثانيا: قوله - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢].

ثالثا: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

رابعا: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»(١)، ففي هذا الحديث أن الإيمان فيه أعلى وأدنى، وإذا كان كذلك كان قابلا للزيادة والنقصان بحسب وجود هذه الشُّعَب واتصاف العبد بها.

والأدلة في هذا كثيرة تقرر أن الإيمان يزيد وينقص، وهو محل إجماع بين السلف، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

---

(١) تقدم تخريجه.

ولما تحقق لدى سلف الأمة وصدرِها وخيارها هذه المسألة وأنه يزيد وينقص، كانت عنايتُهم به عظيمةً ومُقَدَّمة على كل أمر، فكانوا يتعاهدون إيمانهم، ويتفقدون أعمالهم، ويتواصون بينهم.

كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لأصحابه: «هلموا نَزْدَدْ إيمانًا»(١).

وكان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «اجلسوا بنا نَزْدَدْ إيمانا»(٢)، وكان يقول في دعائه: «اللّٰهم زدنا إيمانا ويقينا وفقهًا»(٣).

وكان عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأخذ بيد النفر من أصحابه فيقول: «تعالَوا نؤمِنْ ساعة، تعالوا فلنذكُرِ الله ولنَزْدَدْ إيمانا بطاعته، لعله يذكرنا بمغفرته»(٤).

وكان معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «اجلسوا بنا نؤمِنْ ساعة»(٥).

وكان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «مِن فِقْه العبد أن يعلم أمُزداد هو أو منتقص(أي: من الإيمان)، وإنَّ من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان، أنَّى تأتيه»(٦).

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (١٧٠٠).

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعَب» (٤٤).

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (١٧٠٤).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٤٢٦).

(٥) أخرجه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (١٧٠٦).

(٦) أخرجه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (١٧١٠).

وكان عُمَير بن حبيب الخطمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «الإيمان يزيد وينقص، فقيل: وما زيادته ونقصانه؟! قال: إذا ذكرنا الله - عز وجل - وحمدناه وسبَّحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه»(١).

وسُئِل الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ عن الإيمان: أيزيد؟ قال: «نعم، حتى يكون كالجبال»، قيل: فينقص؟ قال: «نعم، حتى لا يبقى منه شيء»(٢).

- **أسباب زيادة الإيمان:**

أولا: التعرُّف على الله - تعالى - بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى:

وهذه الأسماء مبثوثةٌ في نصوص الكتاب والسنة، وقد اجتهد العلماء في تتبعها وشرحها، وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا - مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا -، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»(٣)، والمراد بإحصائها في الحديث: إحصاء ألفاظها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها دعاء عبادة ودعاء مسألة.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٣٢٧).

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (١٧٤٠).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٦٧٧).

ومن قويت معرفته بربه؛ انفتحت له أبواب المعارف، وانبعثت نفسه للطاعة والعبادة، وعظمت خشيته من ربه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال بعض السلف: من كان بالله أعرف؛ كان منه أخوف(١).

ثانيا: قراءة القرآن الكريم بالتدبر:

القرآن وصَفَه من تكلَّم به بأنه هدى ورحمة وشفاء وبُشرى، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، والغاية من إنزال القرآن هي تدبره والعمل به، كما يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا خير في قراءة لا تدبُّر فيها»(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتبارك الذي جعل كلامَه حياةً للقلوب، وشفاء لما في الصُّدُور، وبالجملة فلا شيء أنفعُ للقلب من قراءة القرآن بالتدبر

(١) ينسب هذا القول للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٣٠).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه (٣٠٦)، وضعفه محققه.

والتفكُّر؛ فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين»[١].

ثالثا: النظر في سيرة النبي الكريم ﷺ:

فهو الرحمة المهداة والنعمة المُسْداة، بعثه الله رسولا إلى الثقلين بشيرا ونذيرا، وأوجب على العباد طاعته وتوقيره، شرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وكمَّل له خُلُقَه.

سُئل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: كان والله أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا، وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ[٢].

وقال إسحاق التجيبي: كان أصحاب النبي ﷺ بعده لا يذكرونه إلا خشَعُوا واقشعرت جلودُهم وبَكَوا[٣].

وقال مصعب بن عبد الله: كان الإمام مالك إذا ذَكر النبيَ ﷺ يتغير لونه وينحنِي حتى يصعُبَ ذلك على جلسائه[٤].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٨٧).

(٢) «الشفا» (٢/ ٢٢).

(٣) «الشفا» (٢/ ٢٦).

(٤) «الشفا» (٢/ ٤٢).

رابعا: التفكر في آيات الله الكونية:

وآياته الكونية هي مخلوقاته التي أبدع صنعَها؛ كالشمس والقمر والنجوم والجبال والأشجار والأنهار والبحار والدواب والطيور وغير ذلك.

وكثُر في القرآن الإشارةُ والحث على التفكر، قال تعالى: ﴿**قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾ [يونس: ١٠١]، وقال - أيضا -: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقال - جلَّ ذكرُه -: ﴿**قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ**﴾ [العنكبوت: ٢٠] ، وقال - سبحانه -: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾ [آل عمران: ١٩٠]، فسبحان مَن أبدع الخلق وأتقنه من الذرة إلى المجرة.

تأمَّلْ في نباتِ الأرضِ، وانظُرْ ... إلى آثارِ ما صَنَعَ المليكُ

عُيُونٌ من لُجَيْنٍ شاخصاتٌ ... بأحْداقٍ هي الذَّهَبُ السَّبِيكُ

على قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شاهداتٌ ... بأنَّ اللهَ ليسَ لهُ شريكُ[1]

(١) تنسب هذه القطعة لأبي نواس، كما في «اللطائف» للثعالبي ص ٢٠٥.

خامسا: التقرب إلى الله بالطاعات:

فهذا من أسباب زيادة الإيمان الجلية، فيجتهد العبد في أعمال الطاعات عموما، ما يتعلق منها **بالقلب**؛ كعبادة الإخلاص والمحبة والتوكل والرجاء والخوف والرضى والصبر والتقوى وغيرها، وما يتعلق **باللسان**؛ كقراءة القرآن وذكر الله عموما والصلاةِ على نبيه ﷺ، **وأعمال الجوارح**؛ كالصلاة والصيام والحج والصدقة وطلب العلم ومجالسة الصالحين وغيرها. فيُبادر العبدُ أنفاسَه ويغتنمُ عمرَه القصير وأيامَه المعدودة في التزود قبل الرحيل.

وزيادة الإيمان بالطاعات بحسب **جنس العمل وكيفيته وقَدْره**، فجنس الفرض أفضل من النفل. وكلما كانت كيفية العمل أحسنَ بتحقيق الإخلاص والمتابعة فيه كانت زيادة الإيمان به أكثر، فرُبَّ رجلين يصليان ركعتين نافلة لكن بينهما كما بين السماء والأرض. وأما القَدْر: فكلما كثر العمل الصالح كثرت زيادة الإيمان به؛ لأنه يزيد بزيادته.

سادسا: ترك المعاصي خوفا من الله:

فمن ترك المعصية مع قُدرتِه عليها؛ خوفا من الله لا عجزا أو حياء من الناس، أو خوفا من الفضيحة، أو لأنها لم تخطر على باله بل تركها خوفا من الله – تعالى –، فليُبشر براحة وسعادة يجدها في قلبه، مع ما يدخره الله له من ثواب، ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ**﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

- **مظاهر ضعف الإيمان:**

من مظاهر ضعف الإيمان: قسوة القلوب، وكثرة الذنوب، وقحط العيون التي لا تدمع من خشية الله – تعالى –.

ومنها: ضَعف القلب في سَيره، وثِقَل الطاعة على النفس، وقلة الاهتمام لمواسم الخيرات، وعدم الاكتراث لفواتها؛ فتفوت الرجلَ صلاةُ الجماعة والسننُ المؤكدة، ويمُر رمضان وعشر ذي الحجة، والقلب بارد!.

ومنها: فقدُ الإحساس بلذة العبادة، وحلاوةِ المناجاة، وطول القيام، وعدمُ التأثر بقراءة القرآن، وسهولة الوقوع في المعاصي، وضعف جانب الحياء من الله، وعدم استشعار مقام المراقبة والقرب! قال تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾ [البقرة: ٧٤]، فانظر إلى قلبك في الصلاة وقراءة القرآن والذكر والدعاء، أهو حاضرٌ حي؟ أم غافلٌ لاهٍ؟.

ومن مظاهر ضعف الإيمان المنتشرة: ضيق الصدر وسوء الخلق، فتجد أحدَهم ضَيِّقَ العَطَن لا يتحمل كلمة من أحد، وقد كثُرت شكوى الناس من ذلك. وفي الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: «**الْإِيمَانُ: الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ**»(١)، ووصف ﷺ المؤمن بأنه: يَألف ويُؤلف، وأنه لا خير فيمن لا يَألف ولا يُؤلف(٢).

---

(١) **صحيح بطرقه:** أخرجه أحمد في المسند (١٩٤٣٥)، من حديث عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وله طرق وشواهد صححه بها الألباني في «السلسة الصحيحة» (٥٥١).

(٢) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٥٤٤)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٨٩٧٦)، و«شعب الإيمان» (٧٧٦٨).

ومن مظاهر ضعف الإيمان المنتشرة – أيضا –: قلةُ الاكْتِراث والاهتمام بمُصاب المسلمين، وضَعْف التأثُّر بما يحل عليهم من كُرَب وكوارث، وفي الحديث عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، يَأْلَمُ الْمُؤْمِنُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، كَمَا يَأْلَمُ الْجَسَدُ لِمَا فِي الرَّأْسِ**»(١).

ومن مظاهر ضعف الإيمان المنتشرة – أيضا –: الفزع والجزع عند المصائب والأزمات، فترى أحدهم إذا أصيب بمصيبة في نفسه مِن مرض أو غيره، أو في ماله بخسارة أو حريق أو غيرهما، أو في ولده بموت أو مرض أو غير ذلك من صور البلاء = خارت قواه، وضاقت نفسُه، واسودَّت الدُّنيا في عينه، وركبته الهموم، وساءت منه الظنون، ولو كان قوي الإيمان لرأيته قوي القلب، رابط الجأش، صابرا ثابتا محتسبا؛ لأنه يوقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده (٢٢٨٧٧)، والطبراني في الكبير (٥٧٤٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (١١٣٧).

المقطع الثامن

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فَصْلٌ:

وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَصَحَّ بِهِ النَّقْلُ عَنْهُ فِيمَا شَاهَدْنَاهُ أَوْ غَابَ عَنَّا، نَعْلَمُ أَنَّه حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَا عَقَلْنَاهُ وَجَهِلْنَاهُ، وَلَمْ نَطَّلِعْ عَلَىٰ حَقِيقَةِ مَعْنَاهُ؛ مِثْلُ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ(١)، وَكَانَ يَقَظَةً لَا مَنَامًا؛ فَإِنَّ قُرَيْشًا أَنْكَرَتْهُ وَأَكْبَرَتْهُ، وَلَمْ تَكُنْ تُنْكِرُ الْمَنَامَاتِ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ لَمَّا جَاءَ إِلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، لَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَىٰ رَبِّهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ عَيْنَهُ(٢).

وَمِنْ ذَلِكَ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ، مِثْلُ خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَىٰ بنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَيَقْتُلُهُ(٣)، وَخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ(٤)، وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ(٥)، وَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا(٦)، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ مِمَّا صَحَّ بِهِ النَّقْلُ.

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) سيأتي تخريجه.

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) سيأتي تخريجه.

(٥) سيأتي تخريجه.

(٦) سيأتي تخريجه.

وَعَذَابُ الْقَبْرِ وَنَعِيمُهُ[1] حَقٌّ، وَقَد اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُ، وَأَمَرَ بِهِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ.

وَفِتْنَةُ الْقَبْرِ حَقٌّ[2]، وَسُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ حَقٌّ[3]، وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ وَذَلِكَ حِينَ يَنْفُخُ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الصُّورِ، ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١].

وَيُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا، فَيَقِفُونَ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَشْفَعَ فِيهِم نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَيُحَاسِبُهُم اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وتَتَطَايَرُ صُحُفُ الأَعْمَالِ إِلَى الْأَيْمَانِ وَالشَّمَائِلِ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق:٧-١٢].

وَالْمِيزَانُ لَهُ كِفَّتَانِ وَلِسَانٌ، تُوزَنُ بِهِ الْأَعْمَالُ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣].

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) سيأتي تخريجه.

(٣) سيأتي تخريجه.

وَلِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ حَوْضٌ فِي الْقِيَامَةِ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبَارِيقُهُ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا(١).

وَالصِّرَاطُ حَقٌّ يَجُوزُهُ الْأَبْرَارُ، وَيَزِلُّ عَنْهُ الْفُجَّارُ(٢).

وَيَشْفَعُ نَبِيُّنَا ﷺ فِيمَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ، فَيَخْرُجُونَ بِشَفَاعَتِهِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا وحِمَمًا، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ(٣).

وَلِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ شَفَاعَاتٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ**﴾ [الأنبياء:٢٨].

وَلَا تَنْفَعُ الْكَافِرَ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ.

وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ، فَالْجَنَّةُ مَأْوَىٰ أَوْلِيَائِهِ، وَالنَّارُ عِقَابٌ لِأَعْدَائِهِ، وَأَهْلُ الجَنَّةِ فِيهَا مُخَلَّدُونَ، ﴿**إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**﴾ [الزخرف:٧٤-٧٥].

وَيُؤْتَىٰ بِالمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: «**يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ**»(٤).

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) سيأتي تخريجه.

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) سيأتي تخريجه.

الشرح:

قرر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا وجوبَ الإيمان بما صح الخبرُ به عن النبي ﷺ، وهذا ما يسمى بالسمعيات، أي: ما ثبت سماعا من الوحي الشريف، لا اجتهادا.

وضرب لذلك ثلاثة عشر مثالا، وهي:

الأول: الإسراء والمعراج.

الثاني: قصة ملَك الموت مع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

الثالث: أشراط الساعة.

الرابع: فتنة القبر.

الخامس: عذاب القبر ونعيمه.

السادس: البعث.

السابع: الحشر.

الثامن: الحساب ونشر الدواوين وتطاير الصحف.

التاسع: الميزان.

العاشر: الحوض.

الحادي عشر: الصراط.

الثاني عشر: الشفاعة.

الثالث عشر: الجنة والنار.

وسنفرد لكل منها مبحثا مختصرا، إن شاء الله - تعالى -.

المبحث الأول: الإسراء والمعراج:

الإسراء لغة: السير بالشخص ليلا، يقال: سرى وأسرى[1].

واصطلاحا: سير جبريل بالنبي ﷺ ليلا من مكة إلى بيت المقدس، كما في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء: ١].

وكانت وسيلةُ النقل: البُرَاق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه[2].

والمعراج: الصعود بالنبي ﷺ من أرض بيت المقدس إلى السماء.

وكان الإسراء والمعراج في ليلة واحدة، وكان ذلك قبل الهجرة بسنة أو بسنة وأشهر.

وكان يقظة لا مناما؛ لأن قريشا أكبرته وأنكرته، ولو كان مناما لم تنكره، لأنها لا تنكر المنامات، ولو كان مناما لم يكن معجزة.

وخلاصة الخبر: أن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أمرَهُ الله أن يسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس على البُراق، فنزل هناك وصَّلى بالأنبياء إماما، وربط البُراق بحلقَةِ باب

---

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» (١٣/ ٣٨).

(٢) ينظر: صحيح مسلم (١٦٢).

المسجد، وأُتي بإناءين: أحدِهما لبن، والآخر فيه خمر، فقيل له: خذ أيهما شئت، قال ﷺ: فأخذتُ اللبن فشربته، فقيل لي: هُدِيتَ الفطرة.

ثم عرج به إلى السماوات العُلا سماء سماء، ثم رُفِع إلى سدرة المنتهى، ثم رُفِع له البيت المعمور، ثم عُرج به إلى الجبار جَلَّجَلَالُهُ، فدنا منه حتَّى كان قاب قوسين أو أدنى، حتى بلغ مكانا سَمِع فيه صريف الأقلام، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض الله عليه الصلواتِ الخمس، واطَّلع على الجنة والنار.

واتَّصل بالأنبياء الكرام: رأى آدم في السماء الدنيا، ورأى يحيى وعيسى في السماء الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة[1].

إشكال: كيف رأى الأنبياء في السماوات، مع أن أجسادهم مستقرة في قبورهم بالأرض؟

أجيبَ: بأنه التقى أرواحهم متشكلة بصور أجسادهم، باستثناء عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ حيث رُفع بروحه وبدنه، فالأنبياء - عليهم السلام - أبدانُهم في قبورهم، وأرواحهم في السماء، فما قدَّره الله - تعالى - لهم من اللقاء بالنبي ﷺ إنما هو بأرواحهم المتشكلة بصورة أجسادهم الحقيقية، وهو ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن رجب وآخرون.

---

(١) ينظر: صحيح البخاري (٣٤٩) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٦٣).

ثم رجع ﷺ إلى مكة فحدَّث الناس بما رأى فكذبه الكافرون، وصدَّق به المؤمنون، وتردَّد فيه آخرون.

المبحث الثاني: قصة ملك الموت مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِمَا السَّلامُ -، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ! فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لا يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ. قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ. قَالَ: فَالْآنَ. فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ**»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ**»[1].

وإنما أثبته المؤلف في العقيدة؛ لأن بعض المبتدعة أنكره معلِّلا ذلك بأنه يمتنع أنْ يلطم موسى الملَكَ.

ونرُدُّ عليهم: بأن الملَك أتى موسى بصورة إنسان لا يعرف موسى من هو، ثم طلب منه نفسَه! فمقتضى الطبيعة البشرية أن يدافع المطلوبُ عن نفسِه، ولو علِم

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٣٣٩) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٣٧٢).

موسى أنه ملَكٌ لم يلطمه؛ ولذلك استسلم له في المرة الثانية حين جاء بما يدل أنه من عند الله، وهو إعطاؤه مهلة من السنين بقدر ما تحت يده من شعر ثور.

المبحث الثالث: أشراط الساعة:

الأشراط في اللغة: جمع شَرَط بالتحريك، والشَرَطُ: العلامة، فأشراط الساعة علاماتها، قال تعالى: ﴿**فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا**﴾ [محمد: ١٨].

والساعةُ: الوقت الذي تقوم فيه القيامة.

وأشراط الساعة اصطلاحا: هي العلامات التي تسبق يوم القيامة وتدل على قدومها.

- **ويقسِّم العلماء أشراط الساعة إلى ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: ما ظهر وانقضى.

ومنه: بعثته ﷺ وموته، وفتح بيت المقدس، وغيرها.

القسم الثاني: أشراط ظهرت ولا تزال تتابع باستمرار، ومنها: كثرة الزلازل، وتضييع الأمانة، وتوسيد الأمر إلى غير أهله، ورفع العلم، وكثرة الجهل، وغيرها.

القسم الثالث: العلامات العظام التي لم تظهر بعدُ، والتي يعقبها قيام الساعة.

ومنها: خروج المسيح الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخروج يأجوج ومأجوج، والدابة، وخروج الشمس من مغربها، ونحو ذلك.

- **ويقسمها آخرون إلى قسمين:**

القسم الأول: أشراط صغرى:

وهي كثيرة جدا، وهذه العلامات لا تدل على مدح أو قدح، بل هي دلائل وعلامات على قرب الساعة، وفيها ما يُمدح؛ كبعثة النبي ﷺ، وفتح بيت المقدس، وفيها ما يُذَم؛ ككثرة الزنا، وانتشار الجهل.

القسم الثاني: أشراط كبرى:

وهي الواردة في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**»[1].

وقد ذكر المؤلف خمسة من هذه الأشراط الكبرى:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٩٠١).

أولا: خروج المسيح الدجال:

وهو الدجال الأكبر الذي يخرج قُبيل قيام الساعة.

وخروجه من الأشراط العظيمة المُؤذِنة بقيام الساعة، وفتنتُه من أعظم الفتن والمحن التي تمر على الناس، ويسمى مسيحا؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة، أو لأنه يمسح الأرض في أربعين يوما.

وسمي دجالا؛ لأنه يغطِّي الحق بباطله، ولأنه يغطِّي على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه.

وقد تواترت الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ في ذكر خروج الدجال في آخر الزمان والتحذير منه، وبيان أوصافه، ومما ورد:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمَهُ؛ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ**»(١).

فهو رجل مموَّهٌ يخرج في آخر الزمان يدَّعي الربوبية، يخرج من طريق بين الشام والعراق، فيدعو الناس إلى عبادته فأكثرُ من يتَّبِعُه اليهود والنساء

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٣٣٨)، ومسلم (٢٩٣٦).

والأعراب. ويتبعه سبعون ألفا من يهود أصفهان[١]، فيسير في الأرض كلها كالغيث استدبرته الريح[٢]، إلا مكة والمدينة فيمنع منهما، وله فتنة عظيمة منها أنه يأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، معه جنة ونار، فجنته نار، وناره جنة. ومدة مكثه أربعون يوما: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وباقي أيامه كأيَّامنا[٣].

وهو أعور العين مكتوب بين عينه (ك ف ر) يقرأه المؤمن فقط[٤]، حَذَّر منه النبي ﷺ وقال: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ**»[٥].

وروى مسلم من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**»[٦]، وفي رواية: «**مِنْ آخِرِها**»[٧].

---

(١) ينظر: صحيح مسلم (٢٩٤٤).

(٢) قال في «تحفة الأحوذي» (٦/ ٤١٦): «المراد به هنا: الغيم؛ إطلاقا للسبب على المسبب، أي: يسرع في الأرض إسراع الغيم (استدبرته الريح)».

(٣) ينظر: صحيح مسلم (٢٩٣٧).

(٤) ينظر: صحيح مسلم (٢٩٣٣).

(٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وأحمد (١٩٨٧٥)، وصححه الألباني.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٨٠٩).

(٧) أخرجها أبو داود في «السنن» (٤٣٢٣)، وصححها الألباني.

ثانيا: نزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

وقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾[الزخرف:٦١]، أي: أن نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قبل القيامة علامة على قُربِ الساعة، ويدل على هذا القراءة الأخرى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾، بفتح العين واللام، أي: خروجه عَلَمٌ من أعلام الساعة.

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير هذه الآية ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾، قال: هو خروج عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قبل يوم القيامة(١).

والأدلة من السنة على نزوله كثيرة جدا:

منها حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ(٢)، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٩١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٠٣)، وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه محققو المسند.

(٢) قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه على مسلم (٢/ ١٩٠): «فالصواب في معناه: أنه لا يقبلها، ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل منهم الجزية لم يكُفَّ عنه بها؛ بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل».

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٤٤٨) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٥٥).

وينزل بالشام، عند المنارة البيضاء، شرقي دمشق[1].

قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمعت الأمَّةُ على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة، ممن لا يعتد بخلافه. وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل، ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة»[2].

وفي نزوله رَدٌّ على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيُبيِّنُ الله - تعالى - كذبهم، وأنه الذي يقتلُهم ويقتل رئيسَهم الدجال.

ويحدث في زمنه أمور عظيمة، منها:

١- قتل المسيح الدجال.

٢- هلاك يأجوج ومأجوج.

٣- ظهور البركات والخيرات، ورفع الشحناء والبغضاء.

ثالثا: خروج يأجوج ومأجوج:

يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد آدم وحواء، كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - يَوْمَ القِيَامَةِ: **«يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ**

(١) ينظر: صحيح مسلم (٢٩٣٧).

(٢) «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٩٤).

ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ - أُرَاهُ قَالَ: - تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الوَلِيدُ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ». فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ»(١).

وورد ذكرهم في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝٩٦ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٣-٩٧].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٩٦-٩٧].

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٧٤١) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٢٢).

وورد في السنة ذكرُهم في أحاديث كثيرة.

وهم محجوزون بسَدٍّ عظيم بناه ذو القرنين؛ ليحجز بينهم وبين جيرانهم الذين استغاثوا به منهم. وقد ورد في القرآن الكريم ذكر هذا السد كما سبق. ومكانه: في جهة المشرق؛ لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ﴾[الكهف:٩٠].

والذي تدل عليه الآيات السابقة أن هذا السَّدَّ بني بين جبلين؛ لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ﴾، والسَّدَّان: هما جبلان متقابلان، ثم قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾، أي: أنه وضع قطع الحديد، حتى حاذى بها رؤوس الجبلين، ثم أفرَغَ عليه نُحاسًا مذابا فكان سدًّا مُحكَما، إلى أنْ يأذن اللهُ - تعالى - بخروجهم في آخر الزمان.

عن زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «**لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**»، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا. قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ**»(١).

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٣٤٦) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٨٨٠).

وإذا خرجوا يحصل منهم طُغيان وإفساد في الأرض، وإهلاك للحرث والنسل، فيتضرع نبي الله عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأصحابُه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ليكشف عنهم ما حَلَّ بهم من البلاء والمحن التي لم يجِدُوا بأنفسهم حيلة ولا قُوة لدَفْعِها، فيستجيب الله لهم، فيسلط الله عليهم الدود الصغير فيهلِكُهم فيصبحون موتى موتَ الجراد، يركَبُ بعضهم بعضا، فتمتلئ الأرض من نتنهم، فيؤذون الناس بنتنهم أشد من حياتهم، فيتضرع نبي الله عيسى وأصحابه ثانية إلى الله – عز وجل –، فيرسل طيرا تحملهم وتطرحهم في البحر، ثم يرسل مطرا تغسل آثارهم، ثم يأمر الله الأرض لترد بركتها وتنبت ثمارها، فيعم الرخاء، وتطرح البركة فيعيش عيسى ابن مريم وأصحابه في عيش رغيد(١).

رابعا: خروج الدابة:

ودل على خروجها الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ**﴾[النمل: ٨٢].

وعن حذيفة بن أَسِيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**». قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ** ...»، فذكر منها: «**الدَّابَّةَ**»(٢).

---

(١) ينظر: صحيح مسلم (٢٩٣٧).

(٢) تقدم تخريجه.

وهي آية من آيات الله، تكلِّم الناس كلاما خارقا للعادة.

وللعلماء كلام في صفتها، ومكان خروجها، ووقته، لا حاجة للإطالة بذكره في هذا المقام.

ويتلخص عمل الدابة في الأمور التالية:

١ - أنها دابة تكلم الناس.

٢ - أنها تسِمُ الناس على أنوفهم بعلامة تبيِّن المؤمن من الكافر.

عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «**تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ**»(١).

خامسا: طلوع الشمس من مغربها:

وهو علامة من علامات الساعة الكبرى، دل عليه الكتاب والسنة والإجماع.

قال الله - تعالى -: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ**﴾ [الأنعام:١٥٨].

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢٢٣٠٨)، وابن الجعد في مسنده (٢٩١٩)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٢٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا**»[١].

• **فائدة:**

اختلف العلماء في ترتيب أشراط الساعة، لعدم ورود نص فاصل، لكن اجتهدوا في تدبر النصوص والربط بينها، وقرر بعضهم أن ترتيبها:

١- خروج المهدي. ٢- خروج الدجال.

٣- نزول عيسى ﷺ. ٤- خروج يأجوج ومأجوج[٢].

وليُعلم أن أشراط الساعة الكبرى تكون متعاقبة بسرعة؛ ففي حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**الآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكٍ، فَإِنْ يُقْطَعِ السِّلْكُ يَتْبَعْ بَعْضُهَا بَعْضاً**»[٣].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٦٣٦) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٥٧).

(٢) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ في الفتح (١١/٣٥٣) : «الذي يترجح من مجموع الأخبار: أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب».

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٧٠٤٠)، والحاكم (٨٤٦١)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٧٦٢).

المبحث الرابع: فتنة القبر:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المراد بفتنة القبر:

الفتنة لغة: الاختبار(١).

وفتنة القبر: سؤال الميت عن ربه، ودينه، ونبيه.

وهي أول شيء يكون بعد الموت، فما من إنسان يموت سواء دُفِن في الأرض، أو رُمِي في البر، أو أكلته السباع، أو أحرقته النيران، أو ذرته الرياح، إلا ويفتن هذه الفتنة فيسأل عن ثلاثة أمور: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك ؟.

المطلب الثاني: الأدلة على فتنة القبر:

وفتنة القبر ثابتة بالكتاب والسنة.

قال الله – تعالى –: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقال النبي ﷺ: «**المُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي القَبْرِ: يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾** [إبراهيم: ٢٧]»(٢).

---

(١) ينظر: «مقاييس اللغة» (٤/ ٤٧٢).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٦٩٩) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٨٧١)، بنحوه.

والسائل ملكان؛ لقول النبي ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ**»، قَالَ: «**يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ**»(١).

واسمُهما منكَر ونَكِير(٢).

المطلب الثالث: عموم فتنة القبر:

السؤال عامٌّ للمؤمن والكافر، من هذه الأمة وغيرهم، ويستثنى من ذلك:

أولا: من مات شهيدا:

فَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: «**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً**»(٣).

ثانيا: من مات مرابطا في سبيل الله:

لقوله ﷺ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ**»(٤).

ثالثا: الرسل:

فيسُأل عنهم ولا يُسألون، وهم أفضل من الشهداء والمرابطين.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٣٣٨) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٨٧٠).

(٢) ينظر: سنن الترمذي (١٠٧١)، وقال: حسن غريب، وحسنه الألباني.

(٣) **صحيح**: أخرجه النسائي (٢٠٥٣)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٢١١)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩١٣)، من حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المبحث الخامس: عذاب القبر ونعيمه:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم الإيمان به، ودليله:

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه واجبٌ، وهو من جملة الإيمان باليوم الآخر.

وقد دل القرآن وتواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه.

قال الله - تعالى - في آل فرعون: ﴿**ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ**﴾ [غافر: ٤٦]، فذكر عذابهم قبل قيام الساعة، وهو عذاب القبر.

وقال ﷺ: «**لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**»، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ**». قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**». قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ(١).

المطلب الثاني: صفة عذاب القبر، ونعيمه:

أولا: نعيم القبر:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٦٧)، من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

جاءت الأحاديث ببيان صُوَر من نعيم القبر الذي يظفر به العبد المؤمن، ومن ذلك على سبيل المثال:

١- **يُفرَش له من فراش الجنة.**

٢- **ويُلبَس من لباس الجنة.**

٣- **ويُفتَح له باب إلي الجنة**؛ ليأتيه من نسيمها، ويشُمَّ من طيبها، وتقَرَّ عينُه بما يرى فيها من النعيم.

٤- **يُفسَحَ له في قبره.**

٥- **يُبَشَّرَ برضوان الله وجنتِهِ**؛ ولذلك يشتاق إلى قيام الساعة.

وجاءت هذه الصورُ الخمسُ في حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل[1].

٦- **سروره برؤيته مقعدَه من النار الذي أبدلَه اللهُ - عز وجل - به مقعدا من الجنة.**

عن أبي سعيد الخدري قال: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِنَازَةً فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَإِذَا الإِنْسَانُ دُفِنَ فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ جَاءَهُ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ، فَأَقْعَدَهُ. قَالَ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: صَدَقْتَ. ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ،**

(١) سيأتي تخريجه قريبا، بإذن الله - تعالى -.

فَيَقُولُ: هَذَا كَانَ مَنْزِلَكَ لَوْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ، فَأَمَّا إِذْ آمَنْتَ فَهَذَا مَنْزِلُكَ؛ فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيُرِيدُ أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهِ، فَيَقُولُ لَهُ: اسْكُنْ. وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ»[1].

٧- ينام نَوْمةَ العروس.

٨- ويُنوَّر له قبرُه.

وجاء هذا في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنَّ المؤمن إذا أجاب الملكَينِ، قالا له: «**قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ**»[2]. وإنما شبه نومه بنومة العروس لأنه يكون في طيب العيش.

فهذه بعض صور النعيم التي يُنَعَّم بها المؤمن في قبره، نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا من أهله.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده (١١٠٠٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٦٥)، وصححه محققو المسند.

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وقال: حسن غريب، وحسنه الألباني.

ثانيا: عذاب القبر:

جاءت النصوص ببيان صفة عذاب القبر، ومن ذلك:

١- الضرب بمطرقة من حديد:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ،** قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الكَافِرُ - أَوِ المُنَافِقُ - فَيَقُولُ: لا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ! فَيُقَالُ: لا دَرَيْتَ وَلا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ**»(١).

٢-٦: يفرش له قبرُه نارا، ويلبس نارا، ويفتح له باب إلى النار، ويضيَّق عليه قبره، ويبشر بالعذاب في الآخرة؛ ولذلك يتمنى ألا تقوم الساعة:

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال في بيان حال الكافر والفاجر في قبره - في حديث طويل -: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ؛ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا. وَيُضَيَّقُ**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٣٣٨) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٨٧٠).

عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاعُهُ، ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا، قَالَ: فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، إِلا الثَّقَلَيْنِ، فَيَصِيرُ تُرَابًا. قَالَ: ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ؛ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ. فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ. فَيَقُولُ: رَبِّ، لا تُقِمْ السَّاعَةَ»[١].

٧- الخسف في الأرض:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الْخُيَلاءِ، خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[٢]، يتجلجل، أي: يغوص ويضطرب.

٨- شق جانبي الفم إلى القفا:

وهذه عقوبة الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق[٣].

٩- رضخ الرأس بالحجارة:

وهذه عقوبة الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة[٤].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وابن ماجه (١٥٤٨)، والنسائي (٢٠٠١)، وأحمد (١٨٥٣٤) مطولا، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٤٨٥، و٥٧٩٠).

(٣) ينظر: صحيح البخاري (٧٠٤٧).

(٤) ينظر الهامش السابق.

١٠- الحرق في تنور من نار:

وهذه عقوبة الزناة والزواني[٣].

١١- السباحة في نهر من دم مع الضرب بالحجارة:

وهذه عقوبة آكل الربا[٣].

ومع هذا العذاب الحسي، هناك عذاب معنوي (أي: نفسي)، وهو أن الكافر يَرى في قبره مقعدَه من الجنة لو أطاع الله، فيزداد بذلك حسرة وألما؛ لما يرى من عِظَم النعيم الذي فاته.

والأصل أن العذاب والنعيم في القبر يكون على الروح، وقد تتصل الروح بالبدن فيصيبه شيء من العذاب أو النعيم.

المبحث السادس: النفخ والبعث:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: النفخ في الصور:

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: معناه:

عبارة «النفخ في الصور» مكوَّنة من كلمتين، هما «النفخ» و«الصور»:

فالنفخ معروف.

وأما الصور: فهو قرن يُنفخ فيه، وقد ورد أن الذي ينفخ فيه على التعيين هو إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[1].

المسألة الثانية: الأدلة عليه:

جاء ذكر الصور في القرآن في أكثر من عشرة مواضع؛ منها:

قولُه تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ**﴾ [النمل: ٨٧]، وقوله: ﴿**وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾ [الزمر: ٦٨]، وقوله: ﴿**وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ**﴾ [يس: ٥١].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: جاءَ أَعْرابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقالَ: ما الصُّوْرُ؟ فَقالَ: «**قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيْهِ**»[2].

وعن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**كَيْفَ أَنْعَمُ، وَقَدِ التَقَمَ صَاحِبُ القَرْنِ القَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ، يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ**». قَالَ المُسْلِمُونَ: فَكَيْفَ نَقُولُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا**»[3].

---

(١) ينظر: «مسند إسحاق بن راهويه» (١٠)، وغيره.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٣٢٤٤)، وأحمد (٦٥٠٧)، وصححه الألباني.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٢٤٣)، وأحمد (١١٠٣٩)، وصححه الألباني.

المسألة الثالثة: عدد النفخات:

اختلف العلماء في عدد النفخات على رأيين:

الأول: أنها ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ثم بعدها نفخة الصعق والموت، ثم بعدها نفخة البعث.

الثاني: أن النفخات اثنتان: نفخة الصعق، يفزَع الناس منها في أولها ثم لا تنتهي حتى يموت الناس جميعا. والثانية: نفخة البعث، يُنفخ فيه فيُبعثون، ويقومون من قبورهم.

والظاهر الثاني، وذهب إليه جماعة من المحققين؛ كالقرطبي وابن حجر وابن باز وابن عثيمين.

ويؤيده حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللهُ، قالَ: ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَوْ بُعِثَ قَبْلِي، وَلَا أَقُولُ: إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ**»[1].

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٤١٤) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٣٧٣).

كم بين النفختين؟

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**»، قالُوا: يا أَبا هُريرةَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا، قالَ: أَبَيْتُ، قالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا، قالَ: أَبَيْتُ، قالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً، قالَ: أَبَيْتُ، «**ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّماءِ ماءً، فَيَنْبُتُونَ كَما يَنْبُتُ الْبَقْلُ**». قالَ: «**وَلَيْسَ مِنَ الإنْسانِ شَيْءٌ إلَّا يَبْلَى، إلَّا عَظْمًا واحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيامَةِ**»[1].

ورُوِيَت روايات ضعيفة تحدِّدُها بأربعين سنة، والله أعلم.

المطلب الثاني: البعث:

البعث في اللغة: يطلق على معان منها:

١- الإرسال: يقال: بعثت فلانا أو ابتعثته، أي: أرسلته.

٢- الإثارة: وهو أصل البعث، ومنه قيل للناقة: بعثُها، إذا أثرتَها وكانت قبلُ باركة.

اصطلاحا: إحياء الله الموتى وإخراجهم من قبورهم للحساب والجزاء.

ويعبَّر عنه بالنُّشُور، فهو مرادف له في المعنى.

والأدلة عليه لا تحصى من الكتاب والسنة، ومنها قولُه تعالى: ﴿**زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ**﴾ [التغابن:٧].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في صحيحه (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: قال الله – تعالى –: «**كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: (لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي)، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ. وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: (اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا)، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ**»(١).

ومبدأ البعث مَطَرٌ يرسِلُه الله، فتحيا الأجساد.

عن ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: « ... **ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقالُ: يا أَيُّها النَّاسُ، هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ**»(٢).

وورد في بعض الأخبار أن هذا المطر يستمر أربعين يوما، وإلى هذا أشار ابن القيم بقوله:

وإذا أراد اللهُ إخـــراجَ الـــورى ... بعـــد المـــماتِ إلى المعـــادِ الثـــانِي
ألقـــى عـــلى الأرضِ التـــي هُـــم تحتَهـــا ... واللهُ مقتـــــدِرٌ وذو ســـــلطانِ
مطـــرًا غليظـــا أبيَضًـــا متتابعـــا ... عَشـــْرًا وعَشـــْرًا بعـــدَها عَشـــْرانِ
فتظَـــل تَنبُـــتُ منـــه أجســـامُ الـــورى ... ولحـــومُهم كمَنابِـــتِ الرَّيحـــانِ(٣)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٩٧٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم في صحيحه (٢٩٤٠).

(٣) نونية ابن القيم، الأبيات رقم (١٣٨ – ١٤١).

المبحث السابع: الحشر والموقف:

الحشر في اللغة: هو الجَمْع، مع السَّوْق[1].

واصطلاحا: هو جمع الأموات وسَوْقُهم من قبورهم إلى الموقف بعد البعث.

وهو ثابت بالكتاب والسنة، وأجمع عليه المسلمون.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠].

ومن معالم الحشر:

١- تبديل الأرض:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وعن حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضاءَ عَفْراءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ، لَيْسَ فِيها مَعْلَمٌ لأَحَدٍ**»[2].

و«**الْعَفْرَاءُ**»: بيضاء إلى حمرة، و«**النَّقِيُّ**» (بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء)، أي: الدقيق النقي من الغش والنخال. قوله ﷺ: «**لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ**»، أي: ليس بها علامة سكنى، أو بناء ولا أثر.

---

(١) ينظر: «مقاييس اللغة» (٢/ ٦٦)، مادة «حشر».

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).

قال بعض الشراح: فيه إشارة إلى أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة جدا؛ لانعدام المعالم الموجودة الآن؛ كالجبال والصخور الكبيرة ونحوها(١).

٢- أول من يحشر:

أول من يُحشَر من الخلق، هو نبينا محمد ﷺ، لقوله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ**»(٢).

٣- صفة حشر الناس:

يُحشَر الناس حُفاة لا نعال عليهم، عُراة لا كسوة عليهم، غُرْلا لا ختان فيهم؛ لقوله تعالى: ﴿**كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ**﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقول النبي ﷺ: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفاةً عُراةً غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ ...**»(٣).

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٦٥٢١): «وقد وقع للسلف في ذلك خلاف، في المراد بقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ**﴾، هل معنى تبديلها: تغيير ذاتها وصفاتها، أو تغيير صفاتها فقط؟ وحديث الباب يؤيد الأول. وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، والطبري في تفاسيرهم، والبيهقي في «الشُّعَب» من طريق عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ**﴾، الآيةَ. قال: (تُبَدَّلُ الأرض أرضا كأنها فضة، لم يسفك فيها دم حرام، ولم يُعمل عليها خطيئة)، ورجاله رجال الصحيح».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٧٨).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ولما سمعت عائشة ذلك، قالت: يَا رَسُولَ اللهِ، النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟! قَالَ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ، الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**»(١).

وفي حديث عبدالله بن أنيس أنَّ النبي ﷺ قال: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا**». قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: «**لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ**»(٢).

ويحشر الكافر على وجهه؛ لحديث قتادة عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ ﷺ: «**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!**». قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى، وَعِزَّةِ رَبِّنَا(٣).

ثم يُساق الناس إلى الموقف الذي أعدَّه الله - تبارك وتعالى - مكانا لاجتماع خلقه فيه، وشرفه - جَلَّ وعلا - بنزوله فيه لفصل القضاء بين عباده؛ ويصيب الناس من الشدة والكرب ما لا يعلمه إلا الله - تعالى -.

٤- دنو الشمس:

عن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩)، واللفظ له.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (١٦٠٤٢)، وحسنه محققوه.

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٧٦٠، و٦٥٢٣)، ومسلم (٢٨٠٦).

النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ[1]**، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا**».

قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ[2].

ويكون طائفة تحت ظل الله - تعالى -، منهم السبعة الوارد ذكرهم في قوله ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»[3].

المبحث الثامن: الشفاعة العظمى:

الشفاعة في اللُّغة: مأخُوذة من الشَّفع، الذي هو ضد الوتر. وقد أقسم الله به في قوله تعالى: ﴿**وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ**﴾ [الفجر: ٣]، يعني: كل شفع وكل فرد[4].

والشفع: الزوجي، والوتر: الفردي، بلغة الرياضيات المعاصرة.

وهي في الاصطلاح: التوسط للغير بجَلْبِ منفعة أو دفع مضَرَّة.

---

(١) الحَقْو: الخَصر، وموضع شد الإزار.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٦٤).

(٣) **متفق عليه:** صحيح البخاري (٦٦٠) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٠٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) تنظر الأقوال في تفسير الآية، في: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٩١-٣٩٢).

وقد تكون الشفاعة حسنة يُثاب عليها الإنسان، كما قال ﷺ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا**»(١)، وقد تكون سيِّئةً يأثم عليها الشافعُ، كما قال الله - تعالى -: ﴿**وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا**﴾ [النساء: ٨٥].

والشفاعة باعتبار الشافع نوعان:

الأول: خاصة بالنبي ﷺ.

الثاني: غير خاصة به.

والنوع الأول له صور:

١- **الشفاعة العُظمى**:

وهي الشفاعة الخاصَّة بالنَّبِي ﷺ لأهل الموقف، حينما يُحشَر الناس ويُساقون إلى ذلك الموقف الرهيب العصيب، الذي تشيب منه الوِلْدَان، وتدنو الشمس منهم قَدْرَ ميل، ويلحق بهم من الكَرْب ما لا يطيقون؛ لذلك يتمنون الخلاص، «**فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟! أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟! فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ**

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٤٣٢) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٦٢٧)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ! نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ.

فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟! فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي – عَزَّ وَجَلَّ – قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي! نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟! فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاثَ كَذِبَاتٍ! نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى.

فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟! فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ.

فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟! فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي! اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ.

فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا، فَيَقُولُونَ :يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟! قال ﷺ: فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ -، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»[1].

وهذه الشفاعة العُظمى للنَّبِيِّ ﷺ هي المذكورة في قول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

٢- الشفاعة في استفتاح باب الجنة:

وهذه ثابتة في الأحاديث الصحيحة؛ كقوله ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»[2].

وهاتان الشَّفاعتان الأولى والثانية خاصَّة بالنَّبي ﷺ.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٧١٢) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٩٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣- **الشفاعة في تخفيف العذاب عمَّن استحقه:**

والمقصود بها شفاعته لعمِّه أبى طالب؛ لأنه كان يحُوط النبي ﷺ، وينصره، ويُدافع عنه، فكوفِئ بذلك أن شفع له ﷺ بتخفيف العذاب دون رفعه. فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ؛ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**»(١).

٤- **الشفاعة فيمن دخل النار من أهل الكبائر، أن يخرُج منها:**

وهذه شفاعته ﷺ في عُصاة المُوحِّدين الذين دخلوا النار، فيشفعُ لهم في خروجهم منها. والدليل عليها قوله ﷺ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»(٢).

النوع الثاني: شفاعة غير النبي ﷺ:

ولها صور، منها:

١- **شفاعة الملائكة:**

فالملائكة يشفعون، والدليل على ذلك قول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿**وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ**﴾ [النجم: ٢٦].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٨٨٥ و٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وأحمد (١٣٢٢٢)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي حديث الشفاعة الطويل يقول الله - عزَّ وجلَّ -: «**شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**»(١).

٢- شفاعة النبيين:

والدليل عليه الحديث السابق، وفيه قول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: «**شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ**»(٢).

٣- شفاعة المؤمنين:

وهذه أيضا شفاعة ثابتة في الآخرة، للحديث السابق.

٤- شفاعة الشهداء:

الشهداء هم الذين قتلوا لتكون كلمة الله هي العليا. ومرتبتُهم فوق مرتبة الصالحين، كما قال الله - تعالى -: ﴿**فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ**﴾ [النساء: ٦٩].

والشهداء لهم كرامات عند الله؛ منها ما جاء في قوله ﷺ: «**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) واللفظ له، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تقدم تخريجه.

الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»[١].

٥- **شفاعة بعض الأعمال الصالحة:**

ومن ذلك: القرآن والصيام، كما دل عليه قوله ﷺ: «**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ**»[٢].

المبحث التاسع: الحساب ونشر الدواوين وتطاير الصحف:

والكلام عليه في خمسة مطالب:

المطلب الأول: معنى الحساب، والأدلة عليه:

الحساب في اللغة: العدد، والإحصاء[٣].

وفي الاصطلاح: هو إطلاعُ اللهِ عبادَه على أعمالهم، ومقادير الجزاء عليها.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وصححه الألباني.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦٦٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٣٦)، وقال: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٨٢).

(٣) ينظر: «مختار الصحاح» (ص: ٧٢)، مادة «حسب».

ودلت عليه أدلة كثيرة جدا من الكتاب والسنة؛ منها:

قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧].

وهو حساب عظيم دقيق، لا يفوت شيئا.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وهذا يوجب للمسلم ألَّا يتهاون بالحسنات وإن صغرت، ولا بالسيئات وإن صغرت، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧- ٨].

ويطلع العباد على سجلات أعمالهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾[آل عمران: ٣٠]، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

المطلب الثاني: أحوال الناس في الحساب:

الناس يوم القيامة من جهة الحساب ثلاثة أصناف:

١- من يُحاسب حسابا عسيرا:

وهذا للكفرة والمشركين، وبعض عصاة الموحدين، يكون بالمناقشة والاستقصاء.

٢- من يُحاسب حسابا يسيرا:

ومعناه أن تُعرَض على العبد ذنوبُه ويُقَرَّر بها، ثم يتجاوز الله عنها. وهذا معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-٨].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِلَّا هَلَكَ**». فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ قَدْ قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٧-٨]، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّما ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُناقَشُ الْحِسابَ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِلَّا عُذِّبَ**»(١).

وعن صفوان بن محرز المازني قال: بَيْنَما أَنا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا آخِذٌ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي النَّجْوَى؟ فَقالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ** (أي: سِتْرَه)، **وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ. حَتَّى إِذا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قالَ: سَتَرْتُها عَلَيْكَ فِي الدُّنْيا، وَأَنا أَغْفِرُها لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتابَ حَسَناتِهِ ...**»(٢).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٥٣٧) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٤٤١) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٧٦٨).

٣- من يدخل الجنة بغير حساب:

وهم الصفوة والخيار المذكورون في حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

المطلب الثالث: أوَّليات في الحساب:

١- أول الخلق حسابا: هم أمة محمد ﷺ:

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، يُقَالُ: أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ، وَنَبِيُّهَا؟ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ**»(١).

٢- وأول ما يحاسب عليه العبد: الصلاة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ**»(٢).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٢٩٠)، وصححه الألباني.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٨٦٤)، والترمذي (٤١٣)، والنسائي (٤٦٥-٤٦٧)، وابن ماجه (١٤٢٥)، وصححه الألباني.

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٥٣٣، و٦٨٦٤)، ومسلم (١٦٧٨).

ولا تعارض، وإنما يُقال: أول ما يحاسب عليه العبد فيما يتعلق بحقوق الله: الصلاة، وأول ما يحاسب عليه فيما يتعلق بحقوق العباد: الدماء.

المطلب الرابع: عمَّ يكون الحساب؟

يحاسب الناس يوم القيامة عن:

١- الإيمان، واتباع دعوة الرسل:

وشواهد ذلك كثيرة جدا؛ كقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ**﴾ [القصص: ٦٥].

٢- النعيم الذي يتمتع به العبد:

قال تعالى: ﴿**ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ**﴾ [التكاثر: ٨].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَعْنِي العَبْدَ مِنَ النَّعِيمِ، أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيَكَ مِنَ الْمَاءِ البَارِدِ**»(١).

٣- العهود والمواثيق:

قال تعالى: ﴿**وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا**﴾ [الإسراء: ٣٤].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٣٥٨)، وصححه الألباني.

٤- السمع والبصر والفؤاد:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

٥- الحساب العام:

كما جاء في الحديث الجامع حديثِ أبي بَرْزَةَ الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ**»(١).

المطلب الخامس: ماذا بعد الحساب؟

في ختام مشهد الحساب الأول تُنشَر الكتب وتتطاير الصحف، ويُعطَى كل عبد كتابه المشتمل على سجل كامل لأعماله التي عملها في الحياة الدنيا.

والناس - حينئذٍ - صنفان:

١- **المؤمن:** فيؤتى كتابه بيمينه من أمامه، فيحاسب حسابا يسيرا، وينقلب إلى أهله في الجنة مسرورا. وإذا اطلع المؤمن على ما تحويه صحيفته من التوحيد

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، والدرامي (٥٥٤) وصححه الألباني.

وصالح الأعمال سُرَّ واستبشر، وأعلن هذا السرور، ورفع به صوته يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤].

٢- **الكافر والمنافق وأهل الضلال**: فإنهم يؤتون كتبهم بشمالهم من وراء ظهورهم، وعندئذٍ يدعو الكافر بالويل والثبور، وعظائم الأمور، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٠-١٢]، وقال - سبحانه -: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٢٥- ٣١].

وعندما يعطى العباد كتبهم يقال لهم: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية:٢٩].

ثم بعد قراءة الكتاب: يكون هناك حساب - أيضا - لقطع المعذرة، وقيام الحجة بقراءة ما في الكتب.

المبحث العاشر: الموازين:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معناه ودليله:

الموازين جمع ميزان، وهو في اللغة: الآلة التي تقدر بها الأشياء خفة وثقلا[1].

وأما في الاصطلاح؛ فيراد به: ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد.

وقد دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله – تعالى –: ﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ**﴾[المؤمنون: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿**وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ**﴾[الأنبياء: ٤٧].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الميزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ**»[2].

وأجمع السلف على ثبوت ذلك.

---

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» (١٣/ ١٧٦)، مادة «وزن».

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٦٩٤).

المطلب الثاني: صفة الميزان:

هو ميزان حقيقي، له كفتان، لحديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي ﷺ قال: «**فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ والبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ**»(١).

واختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعدد؟

فقال بعضُهم: متعدِّدٌ بحسب الأمم، أو الأفراد، أو الأعمال؛ لأنه لم يرِد في القرآن إلا مجموعا، وأما إفراده في الحديث فباعتبار الجنس.

وقال بعضُهم: هو ميزان واحد؛ لأنه ورد في الحديث مفردا، وأما جمعه في القرآن فباعتبار الموزون.

وكلا الأمرين محتمَل، والله أعلم.

وأما اللِّسان في قول المؤلف: «وَالْمِيزَانُ لَهُ كِفَّتَانِ وَلِسَانٌ»، فاللِّسان ما يكون بين الكفتين في الميزان القديم، ليعرف به تساوي الكفتي.

وذِكرُ اللسان لم يرد في الكتاب والسنة، ولم يصح عن الصحابة، وإنما ذكر الميزان عند الحسن البصري، فقال: «له لسان وكفتان»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٢١٠).

وقال ابن حجر: «قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأنَّ أعمال العباد تُوزَن يوم القيامة، وأنَّ الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال»[1].

المطلب الثالث: ما الذي يوزن في الميزان؟

قال المؤلف: «وَالْمِيزَانُ لَهُ كِفَّتَانِ وَلِسَانٌ، تُوزَنُ بِهِ الأَعْمَالُ»؛ فجزم بأنَّ الذي يوزن هو: العمل؛ لظاهر الآية السابقة والحديث بعدها.

وقيل: يوزن صحائف العمل؛ لحديث صاحب البطاقة.

وقيل: يوزن العامل نفسه؛ لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**» وقال: **اقرؤوا**: ﴿**فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا**﴾ [الكهف: ١٠٥]»[2].

وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص: بأن الجميع يوزن، أو أن الوزن حقيقة للصحائف، وحيث إنها تثقُل وتخف بحْسبِ الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال. وأما وزن صاحبُ العمل، فالمراد به: قدرُه وحرمته.

قال الشيخ ابن عثيمين: «وهذا جمع حسن، والله أعلم»[3].

---

(١) «فتح الباري» (١٣/٥٣٨).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

(٣) «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٥/ ٦٥).

المطلب الرابع: أمثلة على مثقلات الميزان:

عن أبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قَالَ: «**مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ: «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ**»(٢).

وقال ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ المِيزَانَ**»(٣).

المبحث الحادي عشر: الحوض. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معناه، والدليل عليه:

الحوض في اللغة: مجمع الماء، وجمعه: حياض وأحواض(٤).

وهو في الاصطلاح: حوضٌ للنبي ﷺ في عرصات القيامة، فيه ماءٌ نازل من الكوثر. جعله الله إكراما لنبينا ﷺ، وغياثا لأمته.

ودل عليه السنة المتواترة، وأجمع عليه أهل السنة.

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النبي ﷺ قال: «**إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ**»(٥).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢) واللفظ له، وصححه الألباني.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) ينظر: «الصحاح» (٣/ ١٠٧٣)، مادة «حيض».

(٥) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٥٨٣، و٧٠٥٠)، ومسلم (٢٢٩٠-٢٢٩١).

المطلب الثاني: صفته:

طوله شهر، وعرضه شهر، وزواياه سواء، وآنيته كنجوم السماء، وماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وأطيب من ريح المسك، فيه ميزابان يمُدَّانِه من الجنة،: أحدهما من ذهب، والثاني من فضة، يرِدُه المؤمنون من أمة محمد، ومن يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا.

وكل هذه الأوصاف ثابتة في الصحيحين أو أحدهما.

عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، ماؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزانُهُ كَنُجُومِ السَّماءِ، مَنْ شَرِبَ مِنها فَلا يَظْمَأُ أَبَدًا**»(١).

وفي رواية لمسلم: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ...**»(٢). ومعنى «**زَوَايَاهُ سَوَاءٌ**»، أي: عرضُه كطولِه.

وهو موجود الآن؛ لقوله ﷺ: «**وَإِنِّي - وَاللَّهِ - لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ**»(٣).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

(٢) أخرجها مسلم في صحيحه (٢٧-٢٢٩٢).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٣٤٤) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٢٩٦)، من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

واستمداده من الكوثر لقوله ﷺ: «**وَأَعْطَانِي الْكَوْثَرَ فَهُوَ نَهْرٌ مِنَ الْجَنَّةِ يَسِيلُ فِي حَوْضِي**»(١).

ولكل نبي حوض، ولكن حوض النبي ﷺ أكبرُها وأعظمُها وأكثرها واردةً؛ لما روى الحسن البصري عن سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكثرُ وارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُوْنَ أَكْثَرَهُمْ وارِدَةً**»(٢).

وليحذَرِ العبدُ من الزيغ عن طريق الاستقامة؛ فهذا من أسباب الحرمان من ورود الحوض. فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ! أُنَادِيهِم: أَلَا هَلُمَّ، فَيُقَالُ: (إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ)، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا**»(٣).

---

(١) **ضعيف:** أخرجه أحمد في المسند (٢٣٣٣٦)، بإسناد فيه ابن لهيعة، وللكوثر شواهد صحيحة.

(٢) **إسناده صحيح إلى الحسنِ، واختُلِف في رفعه وإرساله:** أخرجه الترمذي (٢٤٤٣)، وقال: هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلا، ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح. لكنَّ الحديث صححه جماعة من أهل العلم، وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (١٥٨٩): «وجملة القول إنَّ الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح، والله أعلم».

(٣) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (١٣٦، و٢٣٦٧)، ومسلم (٢٤٩) واللفظ له.

المبحث الثاني عشر: الصراط:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى الصراط، وأدلته:

الصراط في اللغة: الطريق(١).

وهو في الاصطلاح: الجسر الممدود على جهنم ليَعْبُر الناس عليه إلى الجنة.

وهو ثابت بالكتاب، والسنة.

قال الله - تعالى -: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا**﴾ [مريم:٧١]، فسَّرها عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجماعة من السلف بالمرور على الصراط(٢).

وقال النبي ﷺ: «**ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»(٣).

واتفق أهل السنة على إثباته.

المطلب الثاني: صفة الصراط:

١- **الصراط زلق**: وسيأتي دليله.

٢- **للصراط حافتان فيها كلاليب معلقة.**

---

(١) ينظر: «الصحاح» (٣/ ١١٣٩)، مادة «صرط».

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٥/ ٥٩٥)، وما بعدها.

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٥٨١) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٨٣)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث طويل سيتكرر الاستشهاد بأجزاء منه مرارا.

كما في قول النبي ﷺ: «**وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ أُمِرَتْ بِهِ**»(١).

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «... **ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: «**مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا...**»(٢).

قوله ﷺ: «**مَدْحَضَةٌ**»: مِن دَحَضتْ رجلُه دحضا، إذا زلقت. و«**مَزِلَّةٌ**»: من زلَّتِ الأقدام، إذا سقطت.

وقوله ﷺ: «**خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ**»: «**خَطاطِيْفُ**»: جمع خُطَّاف (بالضم)، وهو: الحديدة المعوجة - كالكلوب - يختطف بها الشيء. و«**كَلَالِيْبُ**»: جمع كَلُّوب (بفتح الكاف وتشديد اللام المضمومة)، وهو: حديدة معطوفة الرأس.

وقوله ﷺ: «**حَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ**»: الحسَكة: نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم. و«**مُفَلْطَحَةٌ**»: عريضة. و«**عُقَيْفَاءُ**»: معوجة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٥)، من حديث أبي هريرة وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) تقدم تخريجه.

٣- الصراط مثل حد السيف، وأدق من الشعر:

جاء في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**وَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضٌ مَزِلَّةٌ**»(١).

وقال أبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعَرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ»(٢).

المطلب الثالث: عبور الصراط:

عبور الصراط لغير المشركين، أما المشركون والكفار فتتبع كُلُّ أمة ما كانت تعبد من آلهة باطلة، فتسير تلك الآلهة بالعابدين، حتى تهوي بهم في النار، ثم يبقى بعد ذلك المؤمنون وفيهم المنافقون، وعصاة المؤمنين، وهؤلاء هم الذين ينصب لهم الصراط.

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**... إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ - سُبْحَانَهُ - مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ ... ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ ...**»(٣).

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٢٤)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٨)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وأصله في الصحيحين.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، بعد حديث رقم (١٨٣).

(٣) تقدم تخريجه.

يتفاوت الناس في المرور على الصراط، ويكون ذلك بحسب أعمالهم:

١- فيعطى كُلُّ إنسان نورا بحسب عمله، يتبعه على الصراط، ويبقى نور المؤمِنُ يقوده وينجو به.

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «... **وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ - مُنَافِقًا، أَوْ مُؤْمِنًا - نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ، وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ ...**»(١).

٢- تكون سرعة المرور على الصراط بحسب العمل.

كما في حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق، أنَّ النبي ﷺ لما ذكر الصراط، قال: «**فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**»(٢).

وأفاد الحديث أن نتيجة المرور على الصراط إحدى ثلاث:

أ- الناجي بلا خدش: وذكره بقوله: «**نَاجٍ مُسَلَّمٌ**».

ب- الهالك من أول وهلة: وذكره ﷺ بألفاظ مختلفة كقوله: «**مُكَرْدَسٍ فِي النَّارِ**»(٣)، و«**مَنْكُوسٌ فِيهَا**»(٤)، و«**مَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**».

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجها البزار في مسنده (٢٨٤٠).

(٤) أخرجها ابن ماجه في مسنده (٤٢٨٠).

وهم المنافقون الذين يعطيهم الله - تعالى - نورا فينطلقون على الصراط، ثم يطفأ نورهم فيسقطون في النار، وكذلك عصاة الموحدين الذين قضى الله عليهم عذاب جهنم.

ت- المتوسط بينهما، يصاب ثم ينجو: وقد ذكره ﷺ بألفاظ مختلفة كقوله هنا: «**مَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ**».

وهذا الصنف هم الذين اجترحوا السيئات، فتخطفهم الكلاليب، فتجرح أجسادهم، ثم ينجون بفضل رحمة الله ثم بما قدموه من طاعات في الحياة الدنيا.

وبالإجمال فالناس بعد مرور الصراط صنفان:

الأول: ناج من السقوط. وهؤلاء نوعان: سالم من خدش الكلاليب، ومخدوشون.

الثاني: ساقط مطروح في جهنم.

وقال ﷺ في حديث آخر: «**فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ**»، قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ، يَقُولُ: رَبِّ، سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا**»[1].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٥)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأول من يجوز الصراط محمد ﷺ، ومن الأمم أمته:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «... **وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»(١).

المطلب الرابع: القنطرة:

القنطرة هي الجسر، وجمعها: قناطر(٢).

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا**»(٣).

فهي جسر بين الجنة والنار، يكون للمؤمنين بعد جواز الصراط، يهذبون وينقون من المظالم التي عليهم حتى يدخلوا الجنة أنقياء.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذي يظهر أنها طرف الصراط مما يلي الجنة، ويحتمل أن تكون من غيره بين الصراط والجنة»(٤).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٤٣٧) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٨٢).

(٢) ينظر: «الصحاح» (٢/ ٧٩٦)، مادة «قطر».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٣٥).

(٤) «فتح الباري» (٥/٩٦).

المبحث الثالث عشر: الجنة والنار:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معناهما، ووجودهما.

الجنة لغة: البستان الكثير الأشجار[1]. وشرعا: الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين.

والنار لغة: معروفة. وشرعا: الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين.

وهما مخلوقتان الآن؛ لقوله تعالى في الجنة: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وفي النار: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٤]، والإعداد التهيئة، وقال تعالى: ﴿**ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾ [غافر: ٤٦].

ولقوله ﷺ حين صلى صلاة الكسوف: «**إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ**»[2].

والجنة والنار أبديتان لا تفنيان:

والآيات في تأبيد الخلود في الجنة كثيرة، كقوله: ﴿**جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا**﴾ [البينة: ٨]، وأما في النار فذُكر في ثلاثة مواضع:

---

(١) ينظر: «مقاييس اللغة» (١/ ٤٢١).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٠٥٢) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٩٠٧).

الأول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[النساء: ١٦٨- ١٦٩].

الثاني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٥].

الثالث: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

المطلب الثاني: مكان الجنة والنار:

الجنة في أعلى عليين في السماء السابعة؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨].

وقوله ﷺ في حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشهور في قصة فتنة القبر: «فَيَقُولُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ»[1].

والنار في أسفل سافلين في الأرض السفلى؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ﴾ [المطففين: ٧]، أي مصير الفُجَّار ومأواهم.

---

(١) تقدم تخريجه.

وقوله ﷺ في حديث البراء بن عازب السابق: «**يَقُولُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى**»(١).

المطلب الثالث: أهل الجنة وأهل النار:

أهل الجنة كل مؤمن تقي؛ لأنهم أولياء الله، قال الله - تعالى - في الجنة: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال: ﴿**أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ**﴾ [الحديد: ٢١].

وأهل النار: كل كافر شقي، قال الله - تعالى - في النار: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٤]، وقوله: ﴿**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ**﴾ [هود: ١٠٦].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**»(٢).

ومن فضل الله - تعالى - أن أكثر أهل الجنة من هذه الأمة؛ فعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَهْلُ الجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ**»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٩) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٧٣٧)، واللفظ له.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٥٤٦)، وابن ماجه (٤٢٨٩)، وأحمد (٢٢٩٤٠)، وصححه الألباني.

المطلب الرابع: ذبح الموت:

الموت زوال الحياة. وكل نفس ذائقة الموت، وهو أمر معنوي غير محسوس بالرؤية، ولكن الله - تعالى - يجعله شيئا مرئيا مجسما ويذبح بين الجنة والنار، ويكون ذلك بعد استقرار أهل الجنة في الجنة، واستقرار أهل النار في النار.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾، وَهَؤُلاَءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا، ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [مريم: ٣٩][(١)].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٧٣٠) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٨٤٩).

المقطع التاسع

بعض حقوق النبي ﷺ، وخصائصه

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، لَا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يُؤمِنَ بِرِسَالَتِهِ، وَيَشْهَدَ بِنُبُوَّتِهِ، وَلَا يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ فِي القِيَامَةِ، إِلَّا بِشَفَاعَتِهِ، وَلاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ أُمَّةٌ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ أُمَّتِهِ.

صَاحِبُ لِواءِ الحَمْدِ، وَالمَقَامِ المَحْمُودِ، وَالحَوْضِ المَوْرُودِ. وَهُوَ إِمَامُ النَّبِيِّينَ، وَخَطِيبُهُم، وَصَاحِبُ شَفَاعَتِهِم، أُمَّتُهُ خَيْرُ الأُمَمِ».

الشرح:

أفضل الخلق عند الله: الرسل، ثم النبيون، ثم الصدِّيقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون، وقد ذكر الله هذه الطبقات في كتابه في قوله: ﴿**وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا**﴾ [النساء: ٦٩].

وأفضل الرُّسُل أولو العزم منهم، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد - عليهم الصلاة والتسليم -. وأفضلهم محمد ﷺ؛ لقوله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١).

وقد أشار المؤلف في هذا المقطع إلى بعض خصائص النبي ﷺ، وحقوقه.

ولعلنا نتكلم عنهما باختصار في هذين المبحثين:

المبحث الأول: خصائص النبي ﷺ:

خصائص النبي ﷺ هي: ما اختصه الله - عز وجل - وتفرَّد به عن سائر الأنبياء والخَلق.

وهي نوعان - باعتبار زمانها -: خصائص في الدنيا، وخصائص في الآخرة.

ونوعان - باعتبار من اختص دونه -: خصائص دون الأنبياء، وخصائص دون سائر أمته.

ونذكر ما تطرق له المؤلف:

- **أولا: خاتم النبيين:**

ختم الله به النبوة والرسالة، بدلالة الكتاب والسنة.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٧١٢) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٩٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ! قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**»(١).

- **ثانيا: سيد المرسلين:**

لقوله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٢).

- **ثالثا: لا يقضى بين الناس إلا بشفاعته:**

وسبق دليل ذلك في حديث الشفاعة الطويل.

- **رابعا: سَبْقُ أمتِه الأممَ في دخول الجنة:**

لقوله ﷺ: «**نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٣).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٨٧٦) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٨٥٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- **خامسا: صاحب لواء الحمد:**

فهو ﷺ أحمد الناس لربِّه، ومن أسمائه: محمد وأحمد، وسبق في حديث الشفاعة الطويل: «**فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ -، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي**»(١).

وأصل اللواء: الراية التي يحملها قائد الجيش ونحوه.

ودلَّ عليه: حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ**»(٢).

وللعلماء في هذا اللواء قولان:

الأول: أنه لواء معنوي، يراد به الشهرة وانفراده بالحمد العظيم على رؤوس الخلائق.

والثاني: أنه لواء حقيقي؛ لظاهر اللفظ.

قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَمْل لواء الحمد على معناه الحقيقي هو الظاهر بل هو المتعين؛ لأنه لا يصار إلى المجاز مع إمكان الحقيقة»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣١٤٨)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وصححه الألباني.

(٣) «تحفة الأحوذي» (٨/ ٤٦٥).

- **سادسا: صاحب المقام المحمود:**

أي: العمل الذي يحمده عليه الخالق والمخلوق.

قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وهذا المقام هو ما يحصل من مناقبه ﷺ يوم القيامة من الشفاعة وغيرها.

فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا[1]، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ»[2].

- **سابعا: صاحب الحوض المورود:**

وسبق بيان الحوض ودليله، والمراد بكون الحوض من خصائص النبي ﷺ: الحوض الكبير الكثير وارداوه، أما مجرد الحياض فقد مَرَّ أن لكل نبي حوضًا.

- **ثامنا: إمام النبيين:**
- **تاسعا: خطيب الأنبياء:**
- **عاشرا: صاحب شفاعتهم:**

---

(١) قال ابن الأثير في «النهاية» (١/ ٢٣٩): «أي: جماعة، وتروى هذه اللفظة (جُثِيَّ) بتشديد الياء: جمع جاثٍ، وهو الذي يجلس على ركبتيه».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٧١٨).

لحديث أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ، وَخَطِيبَهُمْ، وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ، غَيْرُ فَخْرٍ**»(١).

فأما إمامته ﷺ للأنبياء في الدنيا فوقعت حين أَمَّهم ليلة الإسراء والمعراج، وتظهر إمامته لهم في الآخرة حين يتدافع أولو العزم من الرسل الشفاعةَ في الموقف العظيم، ثم تصير إليه ﷺ فيشفع.

- **الحادي عشر: أمته خير الأمم:**

لقوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١١٠].

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**جُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الْأُمَمِ**»(٢).

وأما قوله تعالى: ﴿**يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ**﴾ [البقرة:٤٧، و١٢٢]، فالمراد عالمو زمانهم.

المبحث الثاني: حقوق النبي ﷺ:

أشار في المقطع السابق إلى شيء من حقوق النبي ﷺ بقوله: «لَا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِرِسَالَتِهِ، وَيَشْهَدَ بِنُبُوَّتِهِ».

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي بعد الحديث رقم (٣٦١٣)، وابن ماجه (٤٣١٤)، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وحسنه الألباني.

(٢) **حسن**: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣١٦٤٧)، وأحمد في مسنده (٧٦٣)، وحسنه محققو المسند.

ودليل ذلك: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١).

ومن حقوقه ﷺ:

- **أولا: وجوب طاعته ﷺ، والحذر من معصيته:**

قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ**»(٢).

- **ثانيا: محبته ﷺ:**

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ: وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٥٣).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

- **ثالثا: وجوب التحاكم إليه، والرضا بحكمه ﷺ:**

والإيمان بأن هديَه أكمل الهدي، وشريعته أكمل الشرائع، وأن لا يُقَدِّم عليها تشريعا أو نظاما مهما كان مصدره.

قال الله – تعالى –: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ [النساء:٦٥].

- **رابعا: نشر دعوته وسنته ﷺ:**

قال النبي ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»(١).

وعن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**»(٢).

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠)، وصححه الألباني.

المقطع العاشر

فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَأَصْحَابُهُ خَيْرُ أَصْحَابِ الأَنْبِياءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -، وَأَفْضَلُ أُمَّتِهِ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِيقُ، ثُمَّ عُمَرُ الفَارُوقُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ذُو النُّورَينِ، ثُمَّ عَلِيٌّ المُرْتَضَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ؛ لِمَا رَوَىٰ عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا نَقُولُ وَالنَّبِيُّ ﷺ حَيٌّ: «أَفْضَلُ هَذِهِ الأُمَّة بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ. فَيَبْلُغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ»(١).

وَصَحَّتِ الرِّوَايَةُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الثَّالِثَ»(٢).

وَرَوَىٰ أَبُو الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرُبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ، عَلَىٰ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٨٥٧)، وأصله عند البخاري (٣٦٩٧).

(٢) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٥٤٨).

(٣) أخرجه أحمد في « فضائل الصحابة » (١٣٥)، وأبونعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٢٥).

وَهُوَ أَحَقُّ خَلْقِ اللهِ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِفَضْلِهِ، وَسَابِقَتِهِ، وَتَقْدِيمِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَىٰ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَىٰ تَقْدِيمِهِ وَمُبَايَعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَجْمَعَهُم عَلَىٰ ضَلَالَةٍ.

ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِفَضْلِهِ وَعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ إِلَيْهِ.

ثُمَّ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِتَقْدِيمِ أَهْلِ الشُّورَىٰ لَهُ.

ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِفَضْلِهِ، وَإِجْمَاعِ أَهْلِ عَصْرِهِ عَلَيْهِ.

وَهَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ الَّذِينَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِم: **«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»**(١).

وَقَالَ ﷺ: **«الْخِلَافَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً»**(٢)، فَكَانَ آخِرُهَا خِلَافَةَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

الشرح:

هذا المقطع في فضل أصحاب النبي ﷺ، والكلام عليه في ثلاثة مباحث:

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وصححه الألباني.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٤٧)، والترمذي (٢٢٢٦)، وصححه الألباني.

المبحث الأول: تعريف الصحابي:

الصحابي: من لقي النبي ﷺ مؤمنا به، ومات على ذلك(١).

المبحث الثاني: فضل الصحابة:

وردت نصوص كثيرة في فضائلهم، منها:

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(٢).

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ**»(٣).

المبحث الثالث: أفضل الصحابة:

هناك مفاضلة عامة كأهل بدر، والمهاجرون أفضل من الأنصار، ومن أنفق وقاتل قبل صلح الحديبية، أفضل ممن أنفق وقاتل بعد الصلح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) ينظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» (١/ ٧) وما بعده.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٦٥٢) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٥٣٣).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

لكن على وجه الخصوص أفضل الصحابة: الخلفاء الأربعة؛ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ودلَّ على ذلك حديثُ العِرْبَاض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كُنَّا نَقُولُ والنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ: أَفْضَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، فَيَبْلُغُ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يُنْكِرُهُ»(٢).

- **أولا: أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:**

هو: الصِّدِّيق أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر، من بني تَيْم بن مُرَّة بن كعب. أول من آمن برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرجال، وصاحبُه في الهجرة، ونائبُه في الصلاة والحج، وخليفتُه في أمته.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

أسلم على يديه خمسة من المبشَّرين بالجنة: عثمان، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، توفي في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، عن ثلاث وستين سنة.

ومن فضائله:

قوله تعالى: ﴿**إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠]، والمراد بصاحبه: أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وسأل عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رسولَ الله ﷺ فقال: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «**أَبُوهَا**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلَّا خُلَّةَ الإِسْلاَمِ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ خَوْخَةٌ**(٢) **إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ**»(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

يـــا ســـائلي عـــن مـــذهبي وعقيـــدتي

رُزِق الهـــدى مَـــن للهدايـــة يســـأل

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٢) الخوخة: باب صغير كالنافذة الكبيرة.

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٩٠٤) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٣٨٢).

اســـــمع كـــــلام مُحَقِّـــــقٍ في قولـــــه
لا ينثنــــــي عنـــــــه ولا يتبـــــدَّلُ
حُـــبُّ الصـــحابة كلِّهـــم لي مـــذهب
ومـــودةُ القربـــى بهـــا أتوســـلُ
ولِكُلِّهِـــم قَـــدْرٌ وفضـــل ســـاطع
لكـــنما الصـــديق مـــنهم أفضـــلُ(١)

- **ثانيا: عمر الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:**

هو: الفاروق أبو حفص عمر بن الخطاب، من بني عدي بن كعب بن لؤي، أسلم في السنة السادسة من البعثة بعد نحو أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة، ففرح المسلمون به وظهر الإسلام بمكة بعده.

استخلفه أبو بكر على الأمة؛ فقام بأعباء الخلافة خير قيام إلى أن قُتل شهيدا في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، عن ثلاث وستين سنة.

ومن فضائله:

عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ**

---

(١) لامية شيخ الإسلام ابن تيمية، الأبيات (١-٤).

ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ». قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الدِّينَ**»(١).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ**» قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**العِلْمَ**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ**»(٣).

قال التابعي الجليل مسروقُ بن الأجدع رَحِمَهُ اللَّهُ: «حُبُّ أبي بكر وعمر، ومعرفة فضلهما من السنة»(٤).

- **ثالثا: عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:**

هو: أبو عبد الله ذو النورين عثمان بن عفان، من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٣) وفي مواضع أخري، ومسلم (٢٣٩٠).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٨٢) وفي مواضع أخري، ومسلم (٢٣٩١).

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٦٦٢)، وابن ماجه (٩٧)، وأحمد (٢٣٢٤٥)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (٢٣٢٢).

لُقِّب بذي النورين؛ لأنه تزوج رقيةَ، وأم كلثوم ابنتي النبي ﷺ، كان غنيا سخيًّا، تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب باتفاق أهل الشورى، إلى أن قُتل شهيدا في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة.

من مناقبه: أنه جمع القرآن في مصحف واحد؛ ليجمع الناس عليه، ونُسب هذا المصحف إليه فقيل: «المصحف العثماني».

- **رابعا: علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:**

هو: أبو الحسن علي بن أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، أول من أسلم من الغلمان، أعطاه رسول الله ﷺ الراية يوم خيبر ففتح الله على يديه، وبويع بالخلافة بعد قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فكان خليفة المسلمين إلى أن قُتِل شهيدا في رمضان سنة أربعين من الهجرة، عن ثلاث وستين سنة.

وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون، وهم أفضل الصحابة على هذا الترتيب.

فخلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال.

وخلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عشر سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام.

وخلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوما.

وخلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أربع سنوات وتسعة أشهر.

فمجموع خلافة هؤلاء الأربعة تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام.

ثم بُويع الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يوم مات أبوه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي ربيع الأول سنة واحد وأربعين من الهجرة سلَّم الأمر إلى معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبذلك ظهرت آيةُ النبي ﷺ في قوله: «**الخِلَافَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً**»(١)، وقولِه في الحسن: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»(٢).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦٢٩) وفي مواضع أخرى، من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المقطع الحادي عشر

الشهادة بالجنة أو بالنار

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَنَشْهَدُ لِلْعَشَرَةِ بِالْجَنَّةِ، كَمَا شَهِدَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ**»[1].

وكُلُّ مَنْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْجَنَّةِ شَهِدْنَا لَهُ بِهَا، كَقَوْلِهِ: «**الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»[2]، وَقَوْلِهِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ[3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، الترمذي (٣٧٤٧و ٣٧٤٨)، وابن ماجه (١٣٣)، من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٧٦٨)، وأحمد في مسنده (١٠٩٩٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٦١٣، و٤٨٤٦)، ومسلم (١١٩)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَلَا نَجْزِمُ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ إِلَّا مَنْ جَزَمَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ، لَكِنَّا نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ وَنَخَافُ عَلَىٰ الْمُسِيءِ».

الشرح:

هذا المقطع في بيان مسألة: الشهادة للمعين بالجنة أو بالنار. وفيها مبحثان:

المبحث الأول: تأصيل المسألة:

الشهادة بالجنة أو بالنار لها صورتان:

الصورة الأولى: الشهادة بالوصف:

كأن يقال: المؤمن في الجنة، والكافر في النار، ونحو ذلك من الأوصاف التي جعلها الشارع سببا لدخول الجنة أو النار، فهذا لا بأس به.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

الصورة الثانية: الشهادة بالتعيين:

بأن يقال: فلان بن فلان – المعين – في الجنة أو في النار.

والحكم في هذا: أنه لا يحكم لمُعَيَّنٍ من أهل القبلة بجنة ولا بنار إلا من شهد له الشرع؛ لأن الشهادة بالجنة أو بالنار أمر غيبي ليس للعقل فيها مدخل، فهي موقوفة على الشرع، فمن شهد له الشارع بذلك شهدنا له، ومن لا فلا، لكننا نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء.

والمراد بـ«**أهل القبلة**»: من يُصلِّي إلى القبلة، وهم كل من ينتسب إلى الإسلام، وأقر بشرائع الإسلام الظاهرة، ولم يأت بما يُخرِجُه من الدين ظاهرا.

قال العلماء: وإن كانوا من أهل الأهواء، أو المنافقين، أو أهل المعاصي.

وأصله مأخوذ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ المُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ**»(١).

إذن، نتوقف في الحكم بالجنة أو بالنار إذا كان المشهود له معيَّنا. فإن كانت الشهادة بالوصف فلا بأس، كما سبق.

مسألة: الشهادة بالنار لمعين مات على الكُفر:

هذه المسألة محل اجتهاد بين أهل العلم، والأظهر والأحوط ألا نشهد له بالنار؛ لأنَّا لا ندري ما خاتمة أمره، وربما يكون له عذر كعدم قيام الحجة، ولأنه لا فائدة من ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٩١، و٣٩٢).

مسألة: قول: «فلان المرحوم»، أو «المغفور له»:

لها صورتان:

الأولى: أن يقولها من باب التفاؤل والرجاء والدعاء، فلا بأس بها.

الثانية: أن يقولها من باب الخبر، فهذا لا يجوز، وهو من جنس الشهادة لمعين بالجنة.

المبحث الثاني: أمثلة على من شهد له الشرع بالجنة أو بالنار:

أولا: المشهود لهم بالجنة:

ذكر المؤلف جملة ممَّن شُهِد لأعيانهم بالجنة، ومن ذلك:

١- العشرة المبشرون بالجنة:

وهم الخلفاء الراشدون الأربعة (أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي)، ومعهم: سعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأبو عبيدة عامر بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

والستة جاء ذكرهم في قول الناظم:

سَعِيدٌ، وسَعْدٌ، وَابْنُ عَوْفٍ، وطَلْحَةُ ... وعَامِرُ فِهْرٍ، والزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ[1]

(١) ينظر: «طبقات الحنابلة» (٢/ ٥٣) لابن أبي يعلى، وقد رواه عن أبي بكر بن أبي داود.

ويدُلُّ على تبشيرهم بالجنة: حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ**»(١).

٢- **الحسن والحسين:** لحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(٢).

٣- **ثابت بن قَيس:**

وقد كان جَهْوَريَّ الصوت، فلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ** ...﴾[الحجرات: ٢] الْآيَةَ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ! وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَى**؟» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

وورد في غيرهم كبلال بن رباح[1]، وعُكَّاشة بن مِحْصَن[2]، وخديجة بنت خويلد[3]، وغيرهم.

ثانيا: المشهود لهم بالنار:

فمنهم على سبيل المثال:

١- **أبو لهب وامرأته أم جميل**؛ لقوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥**﴾ [المسد:١- ٥].

وأبو لهب هو عَمُّ النبي ﷺ، واسمه عبد العُزَّى بن عبد المطلب، وامرأته أم جميل أَرْوَى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان.

٢- **أبو طالب**؛ لحديث العباس بن عبد المطلب، أنه قال: يا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ، وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»[4].

---

(١) ينظر: صحيح البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨).

(٢) ينظر: صحيح البخاري (٥٧٠٥) وأطرافه، ومسلم (٢٢٠).

(٣) ينظر: صحيح البخاري (١٧٩٢) وأطرافه، ومسلم (٢٤٣٣).

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٢٠٨) وفي مواضع أخري، ومسلم (٢٠٩).

وأبو طالب هو عَمُّ النبي ﷺ واسمه عبد مناف بن عبدالمطلب.

٣- **عمرو بن عامر بن لُحَيٍّ الخُزَاعي**؛ لقوله ﷺ: «**رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ**»(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢١٢)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

المقطع الثاني عشر

الموقف من عُصاة أهل القبلة

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ عَنِ الإِسْلَامِ بِعَمَلٍ.

وَنَرَىٰ الْحَجَّ وَالجِهَادَ مَاضِيًا مَعَ طَاعَةِ كُلِّ إِمَامٍ، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا. وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ خَلْفَهُم جَائِزَةٌ.

قَالَ أَنَسٌ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ: الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ**»[1]، رَواهُ أَبُو داوُدَ.

الشرح:

هذا المقطع في مسألة تكفير أهل القبلة.

---

(١) **ضعيف**: أخرجه أبو داود في سننه (٢٥٣١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨٤٨٠)، وضعفه الألباني.

والمراد بأهل القبلة – كما سبق –: من يصلي إلى القبلة، وهم كل من ينتسب إلى الإسلام، وأقر بشرائع الإسلام الظاهرة، ولم يأتِ بما يخرجه من الدين ظاهرا.

والكلام على هذا المقطع في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الكفر وأنواعه:

الكفر: نقيض الإيمان، وقد يكون بالجحود، أو الإعراض، أو الشك.

وعرَّفه جماعة من العلماء بالجُحود باعتبار أشهر صوره.

والكفر نوعان:

الأول: كفر أكبر: وهو المُخرِج من الملة، الموجب للخلود في النار. وهو المراد هنا.

الثاني: كفر أصغر: وهو يضاد كمال الإيمان الواجب. ويسمى: «الكفر الأصغر»، و«كفر دون كفر»، و«كفر النعمة».

وقد جاء في النصوص إطلاق الكفر على بعض الذنوب، مما لا يخرج من الملة، ومن أمثلة ذلك:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ**» قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «**يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ**»[1].

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٩) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٩٠٧).

بوَّب البخاري: «باب كفران العشير وكفر دون كفر». وبوَّب النووي: «بيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله؛ ككفر النعمة والحقوق».

وقال ﷺ: «**لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**»(٢).

وقد يقع الكفر بالقلب، وباللسان، وبالجوارح:

بالقلب: كالشك في صدق النبي ﷺ، أو اعتقاد وجود شريك مع الله يستحق العبادة، أو اعتقاد إباحة محرَّم معلوم التحريم في الدين.

باللسان: مثل سبِّ الله ورسوله ﷺ، أو ادعاء النبوة.

بالجوارح: مثل السجود للصنم، أو إهانة المصحف.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٢١) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٦٥)، من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٦٧).

المبحث الثاني: الفرق بين الكفر، والشرك، والنفاق:

أولا: الكفر والشرك:

والمراد هنا: الشرك الأكبر.

والكفر أعم من الشرك؛ فكل مشرك كافر، وليس كل كافر مشركا؛ لأن أصل الشرك اتخاذ الشريك مع الله - تعالى -. وهذا ناقض للإيمان (أي: كفر)، بينما قد يكفر المرء من غير شرك؛ كمن يجحد ربوبية الله، أو سب الله ورسوله.

ثانيا: الكفر والنفاق:

والمراد هنا: النفاق الاعتقادي (أي: إظهار الإيمان وإبطان الكفر)، وليس النفاق العملي الوارد في نحو قوله ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ**..»[1].

فكلاهما - الكافر والمنافق نفاقا اعتقاديا - خارج عن الدين، لكن الفرق: أن الكافر اعتقد الكفر وأظهره، والمنافق اعتقد الكفر وأظهر الإيمان. وهو ما سُمِّي فيما بعد بالزندقة، وأصحابه: الزنادقة.

والمنافق أقبح من الكافر؛ لأنه جمع الكفر مع المخادعة لله ولعباده، ﴿**يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ**﴾ [البقرة:٩].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٣) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٥٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المبحث الثالث: عقيدة أهل السنة في مرتكب الكبيرة:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ عَنِ الإِسْلَامِ بِعَمَلٍ. وَنَرَىٰ الْحَجَّ وَالجِهَادَ مَاضِيًا مَعَ طَاعَةِ كُلِّ إِمَامٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا. وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ خَلْفَهُم جَائِزَةٌ.

قَالَ أَنَسٌ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ: الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ**»[1]، رَواهُ أَبُو داوُدَ».

وهذه الجملة في مسألة حكم مرتكب الكبيرة، وقبل الكلام عليها أنبِّه على أمرين:

الأول: أن قول المؤلف: «وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ عَنِ الإِسْلَامِ بِعَمَلٍ» ليس على عمومه، بل المراد بالذنب والعمل: ما كان دون الكفر، وقد سبق أنَّ المرء قد يكفر بالعمل؛ كمن سجد لصنم، أو أهان المصحف.

ومقصود المؤلف بالذنوب والأعمال: سائر المعاصي والكبائر التي دون الكفر.

وأما القول بعدم التكفير بأي ذنب فهذا قول المرجئة، كما سيأتي.

---

(١) تقدم تخريجه.

الثاني: حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي ذكره، رواه أبو داود والبيهقي، وهو حديث ضعيف[1].

- **عقيدة أهل السنة في مرتكب الكبيرة:**

أهل السنة والجماعة في هذه المسألة وَسَطٌ بين طائفتين:

الأولى: المرجئة:

وعقيدتهم: أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، ولا يضر مع الإيمان ذنب مهما كان، وهذا بناء على أصلهم في إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان.

الثانية: الخوارج:

وعقيدتهم: أن مرتكب الكبيرة كافر، ويُجْرُون عليهم أحكام الكفار في الدنيا من استباحة الدماء والأموال، وفي الآخرة خالدون مخلدون في النار.

عقيدة أهل السنة:

يعتقد أهل السنة أن مرتكب الكبيرة مسلم فاسق، مؤمن بأصل إيمانه، فاسق ناقص الإيمان بكبيرته. وهو في الآخرة: تحت مشيئة الله - تعالى -، إن شاء عذَّبَه بعدلِه، وإن شاء غفر له برحمته وفضله، وإن عذَّبَه فلا يُخَلَّد في النار.

---

(١) تقدم تخريجه.

والأدلة على هذه العقيدة:

أولا: قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ**﴾ [النساء: ٤٨، و١١٦]، وهذا فيه رد على مذهب الخوارج.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ ...**﴾ [البقرة: ١٧٨].

ووجه الدلالة: أن الله جعل القاتل أخا للمقتول، مما يدُلُّ على أنه باقٍ على إسلامه مع ارتكابه هذه الكبيرة العظيمة.

ثالثا: عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**». قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ**». قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ**». قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**»(١).

فالزنا والسرقة من كبائر الذنوب، ومع ذلك أثبت لهما دخول الجنة بحسنة التوحيد.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٨٢٧) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٩٤).

رابعا: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١).

فنَفَى الإيمان عن فاعل الكبيرة حين فعلها، وهذا فيه رد على مذهب المرجئة.

تنبيه: سيأتي مبحث: السمع والطاعة لأئمة المسلمين، في كلام المؤلف.

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٤٧٥) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٥٧).

المقطع الثالث عشر

حقوق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وفضلهم

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَمِنَ السُّنَّةِ تَوَلِّي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَحَبَّتُهُم، وَذِكْرُ مَحَاسِنِهِم، وَالتَّرَحُّمُ عَلَيْهِم، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُم، وَالْكَفُّ عَنْ ذِكْرِ مَسَاوِئِهِم، وَمَا شَجَرَ بَيْنَهُم، وَاعْتِقَادُ فَضْلِهِم، وَمَعْرِفَةُ سَابِقَتِهِم. قَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر:١٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:٢٩].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ»(١).

الشرح:

هذا المقطع يتضمن الكلام على حقوق الصحابة وفضلهم، وقد سبق تعريف الصحابي.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤١)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والكلام على هذا المقطع في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حقوق الصحابة:

- **أولا: وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ، وتعظيمهم، وتوقيرهم:**

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»(١).

قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في عقيدته: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نُفرط(٢) في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»(٣).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٧ و ٣٧٨٤)، واللفظ له، ومسلم (٧٤).

(٢) إن قُرئ بتشديد الراء فمعناه: لا نقصِّر في حب أحد منهم. وإن قُرئ بالتخفيف: فمن الإفراط، أي: لا نتجاوز الحد بالغلو فيهم وادعاء العصمة لهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٣) متن الطحاوية ص ٨١.

- **ثانيا: اعتقاد عدالتهم:**

والمراد بالعدالة: سلامة الدين وملازمة التقوى. ونَقل الإجماع عليه جماعة من أهل العلم.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤]، وغيرهما من النصوص في فضلهم.

- **ثالثا: الاقتداء بهم، والأخذ بآثارهم وإجماعهم، والرجوع إلى كلامهم في فهم الكتاب والسنة ومسائل العلم:**

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من كان منكم مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة؛ أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة؛ أبَرَّها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكَلُّفا؛ قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[1].

(١) «شرح السنة» للبغوي (١/ ٢١٤).

- **رابعا: سلامة القلوب والألسنة لأصحاب رسول الله ﷺ:**

سلامة القلب من البُغض والغل والحقد والكراهة، وسلامة اللسان من كل قول لا يليق بهم.

قال ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ**»(١).

ومن ذلك: الكف عما شجر بينهم، ووجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تلك دماء طهَّر الله منها يدي، فلا أحب أن أخضب بها لساني»(٢).

- **خامسا: الدعاء والاستغفار لهم:**

قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ**﴾ [الحشر: ١٠].

وعن عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قالت لي عائشة: «يَا ابْنَ أُخْتِي، أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَبُّوهُمْ!»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١١٤)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٧٧٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٠٢٢).

قال الله – تعالى –: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

والترضِّي على الصحابة مستحب باتفاق أهل العلم.

- **سادسا: الشهادة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة:**

وسبق ذكر جماعة منهم.

المبحث الثاني: فضل الصحابة:

سبقت الإشارة إلى طرف من ذلك، ومما يضاف هنا:

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩][1].

(١) جاء في «التفسير الميسر»: «... وصفتهم في الإنجيل كصفة زرع أخرج ساقه وفرعَه، ثم تكاثرت فروعه بعد ذلك، وشدت الزرع، فقوي واستوى قائمًا على سيقانه جميلا منظره، يعجب الزُّرَّاع؛ ليَغِيظ بهؤلاء المؤمنين في كثرتهم وجمال منظرهم الكفار. وفي هذا دليل على كفر من أبغض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء - وكان كثيرا مما يرفع رأسه إلى السماء -، فقال: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**»(١).

والْأَمَنَة: بمعنى الأمان. ومعنى الحديث: «أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية، فإذا انكَدَرتِ النجوم، وتناثرت في القيامة، وَهَنت السماء، فانفطرت، وانشقت، وذهبت، وقوله ﷺ: «**وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ**»، أي: من الفتن والحروب، وارتداد من ارتد من الأعراب، واختلاف القلوب، ونحو ذلك مما أنذر به صريحا، وقد وقع كل ذلك.

قوله ﷺ: «**وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**»، معناه: من ظهور البدع، والحوادث في الدين، والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك. وهذه كلها من معجزاته ﷺ»(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي**

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٣١).

(٢) شرح النووي على مسلم (٨/ ٣٠٧).

قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ»(١).

المبحث الثالث: حكم سب الصحابة:

وردت نصوص كثيرة في تحريم سب الصحابة، منها: قوله ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي**»(٢).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٣).

وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ؛ فلَمُقامُ أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عُمْرَه»(٤).

وسبهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ له صور:

الصورة الأولى: أن يسبهم بما يقدح في دينهم على جهة المجموع:

بأن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم، أو أن عامتهم فسقوا.

---

(١) **حسن**: أخرجه أحمد في مسنده (٣٦٠٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٥٨٣)، وحسنه محققو المسند.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) **حسن**: أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة»(٨)، والطبراني في «الدعاء» (٢١٠٨)، وحسنه الألباني بمجموع طرقه.

(٤) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (١٦٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٤١٥)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٥)، وحسنه الألباني.

وحكم هذه الصورة: أنها كفر؛ لأنها تكذيب لله ورسوله في الثناء عليهم والترضي عنهم، ولأن مضمون هذه المقالة أن نقَلَة الكتاب أو السنة كفار، أو فساق، وبهذا تزول الثقة في الكتاب والسنة؛ إذ الطعن في النقلة طعن في المنقول.

الصورة الثانية: أن يسبهم بما يقدح في دينهم على جهة الأفراد. وهذا له حالان:

١- أن يكون ذلك فيمن تواترت النصوص بفضله؛ كالخلفاء الراشدين، فيتهمهم بالكفر أو الفسق:

وحكمه: أنَّه كفر - على الصحيح -؛ لأن في هذا تكذيبا لأمر متواتر.

وقد سُئل الإمام أحمد عمَّن يشتم أبا بكر وعمر وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقال: «ما أراه على الإسلام»، وسُئل عمَّن يشتم عثمان، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه زندقة»[1].

٢- من سب صحابيا لم يتواتر النقل بفضله سَبًّا يطعن في الدين:

ويرى جمهور العلماء عدم كفر من اقترف هذا السبَّ؛ لعدم إنكاره معلوما من الدين بالضرورة، فيكون فاسقا.

الصورة الثالثة: أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم وعدالتهم؛ كالجبن والبخل:

وحكمه: أنَّه لا يكفر، ولكن يعزَّر بما يردعه عن ذلك.

---

(١) «الصارم المسلول» ص ٥٧١.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما إنْ سَبَّهم سَبًّا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم؛ مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك، فهو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يُكفِّرهم من العلماء»[1].

وذكر أبو يعلى من الأمثلة على ذلك: اتهامَهم بقلة المعرفة بالسياسة[2].

ومما يشبه ذلك اتهامهم بضعف الرأي، وضعف الشخصية، والغفلة، وحب الدنيا، ونحو ذلك.

وهذا النوع من الطعن تطفح به كتب التاريخ، وكذلك بعض الدراسات المعاصرة لبعض المنسوبين لأهل السنة، باسم الموضوعية والمنهج العلمي. وللمستشرقين أثر في غالب الدراسات التي من هذا النوع.

الصورة الرابعة: أن يسبهم باللعن والتقبيح:

وفي كفر مقترفه قولان لأهل العلم، وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يُجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال.

(١) «الصارم المسلول» ص ٥٨٦.

(٢) «الصارم المسلول» ص٥٧١.

المقطع الرابع عشر

حقوق زوجات النبي ﷺ

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَمِنَ السُّنَّةِ التَّرَضِّي عَنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، الْمُطَهَّرَاتِ، الْمُبَرَّءَاتِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ. أَفْضَلُهُنَّ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَعَائِشَةُ الصِّدِيقَةُ بِنْتُ الصَّدِيقِ الَّتِي بَرَّأَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ، زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَمَنْ قَذَفَهَا بِمَا بَرَّأَهَا اللهُ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ.

وَمُعَاوِيَةُ خَالُ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَاتِبُ وَحْيِ اللهِ، أَحَدُ خُلَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ».

الشرح:

الكلام على هذا المقطع في أربعة مباحث:

المبحث الأول: بيان زوجات النبي ﷺ:

وهن على الترتيب:

الأولى: خديجة بنت خويلد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا:

وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قُصَي، كانت تُدعَى في الجاهلية بـ«الطاهرة»، وكانت ذات شرف ومال كثير.

تزوجها رسول الله ﷺ بعد زوجين؛ الأول: عتيق بن عابد، والثاني: أبو هالة التميمي. ولم يتزوج ﷺ عليها حتى ماتت سنة عشرٍ من البعثة، قبل الهجرة بثلاث سنين.

وأولاده ﷺ كلُّهم منها إلا إبراهيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهم: القاسم - وبه كان يُكنى، ومات طفلا -، وزينب، ورُقَيَّة، وأم كلثوم، وفاطمة، وعبد الله.

وعَدَّ بعض العلماء في أولاد النبي ﷺ: الطيب والطاهر، والصحيح أنهما لقبان لعبد الله.

وهي التي آزرته على النبوة، وجاهدت معه، وواسته بنفسها ومالها.

ومناقبها كثيرة؛ منها: ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ**»[1].

والقَصَب: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف. **والصَّخَب**: الصوت المختلط المرتفع. **والنَّصَب**: المشقة والتعب.

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٨٢٠) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٤٣٢).

الثانية: سَوْدَة بنت زَمْعَة القُرشية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

تزوجها ﷺ بعد موت خديجة بأيام، وهي التي وهبت يومها لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الثالثة: عائشة بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق، عقد عليها وعُمرها ست سنين، وبنى بها في شوال في السنة الأولى من الهِجرة وعمرها تسع سنين، ولم يتزوج بكرا غيرها، وما نزل عليه الوحي في لِحاف امرأة غيرها، وكانت أحبَّ الخلق إليه، ونزلت براءتها من قول أهل الإفك في كتاب الله - تعالى -، وهي أفقه نساءِ الأمَّة وأعلمهُنَّ على الإطلاق، وكان الأكابرُ من أصحاب النبي ﷺ يرجعون إلى قولها ويستفتونها.

الرابعة: حفصة بنت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

جاء في سنن أبي داود بسند صحيح أن رسول الله ﷺ طلَّقها ثم راجعها[1]. وقال ﷺ: «**قَالَ لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَاجِعْ حَفْصَةَ، فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ**»[2].

---

(١) ينظر: سنن أبي داود (٢٢٨٣)، و سنن ابن ماجه (٢٠١٦).

(٢) **حسن بشواهده**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٥٣)، وحسنه الألباني بشواهده في «الصحيحة» (٢٠٠٧).

الخامسة: زينب بنت خُزَيمة بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

من بني هلال بن عامر، تعرف بـ «أم المساكين»؛ لرحمتها إياهم، ورقَّتها عليهم. توفيت بعد زواجه ﷺ بها بشهرين أو ثلاثة.

السادسة: أمُّ سلمة هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

وهي آخر نسائه موتا.

السابعة: زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

من بني أسد بن خزيمة، وهي ابنة عَمَّته أميمة، وفيها نزل قولُه تعالى: ﴿**فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا**﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وبذلك كانت تفتخِر على نساء النبي ﷺ، وتقول: زوَّجَكُنَّ أهاليكُن، وزوجني الله مِن فوق سبع سماوات.

الثامنة: جُوَيْرِيَة بنت الحارث بن أبي ضرار المُصْطَلِقِيَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

وكانت من سبايا بني المُصْطَلِق، فجاءته تستعين به على كِتابتها، فأدى عنها كتابتَها وتزوجها، «فَتَسَامَعَ - النَّاسُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ، فَأَرْسَلُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبْيِ، فَأَعْتَقُوهُمْ، وَقَالُوا: أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

فَمَا رَأَيْنَا امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا، أُعْتِقَ فِي سَبَبِهَا مِئَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ»(١).

التاسعة: أمّ حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

واسمها رَمْلة بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية.

تزوَّجَها وهي ببلاد الحبشة مهاجرة، وأصدقها عنه النجاشي أربع مئة دينار، وسيقت إليه من هناك، وماتت في أيام أخيها معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

العاشرة: صفيَّة بنت حُيَيِّ بنِ أَخْطَب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

سيد بني النضير، من ولد هارون بن عمران أخي موسى - عليهما السلام -، فهي ابنة نبي، وزوجة نبي، وكانت مِنْ أَجمل نساءِ العالمين. وكانت قد صارت إليه ﷺ من السبي أَمَةً فأعتقها، وجعل عِتقَها صداقَها.

الحادية عشر: ميمونة بنت الحارث الهِلالية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

وهي آخر من تزوج ﷺ، تزوجها بمكة بعد عمرة القضاء سنة سبع من الهجرة.

فهؤلاء نساؤه المعروفات اللاتي دخل بهِن ﷺ، إحدى عشرة امرأة، مات عن تسع منهن، ومات اثنتان في حياته هما: خديجة بنت خُويلد، وزينب بنت خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وهذا من خصائصه ﷺ أن أباح الله له الزيادة على أربع لحكم جليلة.

---

(١) **حسن**: أخرجه أبو داود (٣٩٣١)، وأحمد (٢٦٣٦٥)، وحسنه الألباني.

المبحث الثاني: فضل زوجات النبي ﷺ:

زوجات النبي ﷺ زوجاته في الدنيا والآخرة، وأمهات المؤمنين، ولهن من الحرمة والتعظيم ما يليق بهن كزوجات لخاتم النبيين وأفضل المرسلين ﷺ؛ فهن من آل بيته، طاهرات مطهَّرات، طيبات مطيَّبات، بريئات مُبَرَّآت من كل سوء يقدح في أعراضهن وفُرُشِهن، فالطيبات للطيِّبين، والطيبون للطيبات.

وزوجاته ﷺ أمهات المؤمنين في الحرمة والاحترام، خيَّرهن الله بين الحياة الدنيا وزينتها، أو الله ورسوله والدار الآخرة، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

وأفضل زوجات النبي ﷺ: خديجة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولكل منهما مزية على الأخرى: فلخديجة في أول الإسلام ما ليس لعائشة من السبق والمؤازرة والنصرة. ولعائشة في آخر الأمر ما ليس لخديجة من نشر العلم، ونفع الأمة، وقد برَّأها الله مما رماها به أهل النفاق.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحق أنَّ كلا منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبَهَره وحيَّرَه، والأحسن التوقف في ذلك إلى الله - عز وجل -»[1].

المبحث الثالث: قذف أمهات المؤمنين:

قذف عائشة بما برأها الله منه كفر؛ لأنه تكذيب للقرآن.

وفي قذف غيرها من أمهات المؤمنين قولان لأهل العلم: أصحهما أنه كفر؛ لأنه قدح في النبي ﷺ؛ فإن الخبيثات للخبيثين.

---

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ١٥٩).

المبحث الرابع: معاوية بن أبي سفيان:

هو أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان صَخْر بن حَرب، ولد قبل البعثة بخمس سنين، وأسلم عام الفتح، وقيل: أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه.

اجتمع الناس عليه بعد تنازل الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، سنة إحدى وأربعين من الهجرة. وكان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من جُملة كُتَّاب الوحي. توفي في رجب سنة ستين من الهجرة، عن ثمان وسبعين سنة.

عن عبد الرحمن بن أبي عُمَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: أَنَّهُ قالَ لِمُعاوِيَةَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهْدِ بِهِ**»(١).

وعن العِرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ، وَقِهِ الْعَذَابَ**»(٢).

وقد ولَّاه عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الشام.

وإنما ذكره المؤلف وأثنى عليه للرد على الروافض الذين يسُبُّونه ويقدحون فيه، وسماه خال المؤمنين؛ لأنه أخو أمِّ المؤمنين أمِّ حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٨٤٢)، وأحمد (١٧٨٩٥)، وصححه الألباني.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد في مسنده (١٧١٥٢)، وابن حبان (٧٢١٠)، وصححه الألباني بشواهده.

وليس المراد بذلك أنهم أخوال في الحقيقة، وإنما يراد أنهم في حكم الأخوال في بعض الأحكام، وهو التعظيم لهم[1].

(١) قال الذهبي في «المنتقى من منهاج الاعتدال» ص٢٤٥: «وقد تنازع العلماء في إخوتهن - يعني أمهات المؤمنين - هل يقال لأحدهم: خال المؤمنِين؟ فجوَّز ذلك بعضهم. ولو جوَّزنا ذلك لاتسع الخرق ولكثُر أخوال المؤمنِين وخالاتُهم ولقيل في أبي بكر وعمر(جَدُّ المؤمنين)، ولحَرُم التزوج بخالات المؤمنين! وهذا لا يقوله بشر؛ وذلك أنه لم يثبت لأزواجه ﷺ أحكام النسب وإنما ثبت لهن الحرمة والاسم وتحريم نكاحهن دون المحرَمِية. وإنما قال هذا بعض السنة في معاوية خاصة لما رأوا من استحلال الرافضة لعنه وتكفيره».

المقطع الخامس عشر

حقوق أئمة المسلمين

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَمِنَ السُّنَّةِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَأُمَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِأَحَدٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ.

وَمَنْ وَلِيَ الخِلَافَةَ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَرَضُوا بِهِ، أَوْ غَلَبَهُم بِسَيْفِهِ حَتَىٰ صَارَ الْخَلِيفَة، وَسُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَبَتْ طَاعَتُهُ، وَحَرُمَتْ مُخَالفَتُهُ والْخُرُوجُ عَلَيهِ وَشَقُّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ».

الشرح:

الكلام على هذا المقطع في أربعة مباحث:

المبحث الأول: منصب الإمامة:

الإمامة في الشرع نوعان:

الأولى: الإمامة الكبرى:

وهي رئاسة عامة في الدين والدنيا، خلافةً عن النبي ﷺ، وتسمى الخلافة.

ومن يتولاها يسمى الخليفة، أو إمام المسلمين، أو أمير المؤمنين، أو الملك، أو الرئيس ونحو ذلك. وهي المرادة - هنا -. وهي من المباحث المشتركة بين العقيدة والفقه.

الثانية: الإمامة الصغرى:

وهي إمامة الصلاة. وكان الخلفاء سابقا هم الذين يتوَلَّون إمامة الصلاة، خاصة الجُمَع والأعياد.

المبحث الثاني: حكم الإمامة، وبم تحصل:

أجمعت الأمة على وجوب عقد الإمامة، وعلى أنَّ الأمة يجب عليها الانقياد لإمام عادل، يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ، ولم يخرُج عن هذا الإجماع من يُعتَدُّ بخلافه.

واستدلوا لذلك بإجماع الصحابة والتابعين، وقد ثبت أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، بمجرد أن بلغهم نبأُ وفاة رسول الله ﷺ بادروا إلى عقد اجتماع في سقيفة بني ساعدة، واشترك في الاجتماع كبار الصحابة، وتركوا أهم الأمور لديهم من تجهيز رسول الله ﷺ وتشييع جثمانه الشريف، وتداولوا في أمر خلافته[١].

---

(١) ينظر: صحيح البخاري (٣٦٦٧، و ٣٦٦٨).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ**»(١)، فإذا كان قد أوجب في أقلِّ الجماعات وأقصر الاجتماعات، أن يولَّى أحدُهم أميرا، فما هو أعظم أشد وجوبا.

ولا تقوم مصالح العباد الدينية والدنيوية إلا بإمام يسوسُهم ويضبط أمورهم.

قال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ:

إنَّ الجماعةَ حبلُ اللهِ؛ فاعتصموا ... بعُرْوتِهِ الوُثقى لَمَن دانا

كمْ يدفع اللهُ بالسُّلطانِ مَظْلَمةً ... في ديننا رحمةً منه، ودُنيانا

لولا الخليفةُ لم تُؤمَنْ لنا سُبُلٌ ... وكان أضعفُنا نهبًا لأَقْوانا(٢)

وهذا أمر تعارف عليه الناس قبل الإسلام، كما قال الشاعر الأول:

لا يصلح الناسُ فوضى لا سراةَ لهم ... ولا سراةَ إذا جهالُهم سادوا(٣)

وهذا الوجوب وجوب كفاية، فإذا قام بها من هو أهل لها سقط الحرج عن الكافة(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٦٠٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠٣٥١)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) «التمهيد» (٢١/ ٢٧٥).

(٣) «العقد الفريد» (١/ ١١)، وينسب للأفوَه الأَوْدِي.

(٤) «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٦/ ٢١٧) بتصرف.

مسألة: بم تنعقد الإمامة؟

تنعقد الإمامة بطرق ثلاثة:

أولا: بيعة أهل الحل والعقد:

وهم: علماء المسلمين ورؤساؤهم ووجوه الناس، الذين يتيسر اجتماعهم حالة البيعة.

سواء كانوا معينين من الخليفة السابق كما في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنها باجتماع من أهل الحل والعقد المُعَيَّنِين من قِبَل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أم غير مُعَيَّنِين كما في خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثانيا: ولاية العهد (الاستخلاف):

وهي: عهدُ الإمام بالخلافة إلى مَن يصح إليه العهدُ؛ ليكون إماما بعده.

كما فعل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين عَهِد بها إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأثبت المسلمون إمامته بعهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثالثا: الاستيلاء بالقوة والغَلَبَة:

لأنَّ عبد الملك بن مروان خرج على ابن الزبير واستولى على البلاد وأهلِها، حتى بايعوه طوعا وكرها، فصار إماما يحرُم الخروج عليه؛ ولما في الخروج عليه من شَقِّ عصا المسلمين، وإراقة دمائهم، وذهاب أموالهم.

وإلى هذا ذهب جمهور الفقهاء.

المبحث الثالث: من حقوق إمام المسلمين:

أولا: الطاعة:

مذهب أهل السُّنَّةِ: السمع والطاعة للإمام المسلم؛ سواء كان برًّا أو فاجرًا، وإنَّما تكون طاعته في غير المعصية.

- **ودَلَّ على هذا الأصل:**

١- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

٢- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**»(١).

٣- وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**دَعانا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبايَعْناهُ، فكانَ فِيما أَخَذَ عَلَيْنا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ. قَالَ: (إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ)**»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

فالطاعة أصل في علاقة الرعية بالإمام، ولا تستقيم الأمور إلا بذلك، كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا إِسْلامَ إِلَّا بِجَمَاعَةٍ، وَلا جَمَاعَةَ إِلَّا بِإِمَارَةٍ، وَلا إِمَارَةَ إِلَّا بِطَاعَةٍ»(١).

لكنَّ هذه الطاعة في غير معصية الله، ويدل على ذلك:

حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»(٢)، وحديثُ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ**»(٣).

- **ثانيا: النُّصرة والاحترام:**

إذا ثبَتَتْ ولاية الإمام فمِن حقِّه على الرعية: النصرةُ والاحترام.

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ = فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ**»(٤).

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٢٥٧).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٢٥٧) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٨٤٠).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧١٤٤) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٨٣٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٨٤٤).

وعن زياد بن كُسَيْب العَدَوي قال: كُنْتُ مَعَ أَبِي بَكْرَةَ تَحْتَ مِنْبَرِ ابْنِ عَامِرٍ وَهُوَ يَخْطُبُ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ رِقَاقٌ، فَقَالَ أَبُو بِلاَلٍ: انْظُرُوا إِلَى أَمِيرِنَا يَلْبَسُ ثِيَابَ الفُسَّاقِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ: اسْكُتْ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ**»(١).

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**»(٢).

وقال سهلُ بنُ عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يزال الناسُ بخَير ما عَظَّموا السلطان والعلماء، فإنْ عَظَّموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإن استخَفُّوا بهذين أفسدوا دنياهم وأُخراهم»(٣).

وهذه النصرة في المعروف، أما أئمة الجَوْر والفسق فلا يعانون على فسقهم وظلمهم.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٢٢٤)، والبزار في مسنده (٣٦٧٠)، وقال الترمذي: حسن غريب، وصححه الألباني.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٨٤٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٧)، وحسنه الألباني.

(٣) تفسير القرطبي (٥/ ٢٦٠).

- **ثالثا: النصيحة:**

عن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» - وَفِي رِوايَةٍ: قالَها ثَلاثًا[1] - قُلْنَا: لِمَنْ؟ قالَ: «**لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**»[2].

قال أبو عمرو ابن الصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ: «النصيحة: كلمة جامعة تتضمَّن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلا»[3]. فيدخل في ذلك: طاعتُهم في المعروف، ومعاونتهم على الحق، وأمرهم به وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غَفَلوا عنه ولم يبلغْهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتأليف قلوب الناس لطاعتهم، والدعاء لهم بالخير.

والأصل أن يكون النصح سرا؛ فعن عِياض بن غُنْم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ، فَلَا يُبْدِ لَهُ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ، فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ**»[4].

---

(١) أخرجها أحمد في مسنده (١٦٩٤٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٥).

(٣) «صيانة صحيح مسلم» ص ٢٢١.

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (١٥٣٣٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٩٦) واللفظ له، وصححه الألباني.

ولمَّا طُلِبَ من أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنْ ينكر بعض ما رأوه على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «تَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ؟! واللهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، مَا دُونَ أَنْ أَفْتَحَ أَمْرًا لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَنَا أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ»(١).

- **رابعا: أداء العبادات معه:**

سبق قول المؤلف في المقطع الثاني عشر: «وَنَرَىٰ الْحَجَّ وَالْجِهَادَ مَاضِيًا مَعَ طَاعَةِ كُلِّ إِمَامٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا. وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ خَلْفَهُم جَائِزَةٌ».

وهذه طريقة أهل السنة والجماعة: الطاعة، والحج والجهاد مع إمام المسلمين بَرًّا كان أو فاجرا، وصلاة الجمعة خلفهم، ويشهد لهذا:

١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ**»(٢)، وأخرجه البزار بلفظ: «**يَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُصَلُّونَ لَكُمْ ..**»(٣).

٢- فِعل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ومن ذلك:

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٩٤).

(٣) أخرجه البزار في مسنده (٨٧١٤).

أنَّ ابن عمر وأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ كانا يُصَلِّيان خلف الحَجَّاج بن يوسف الثَّقَفي، وكان مشهورا بظُلْمه[1].

وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يصلِّي خلف الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط بالكوفة، وكان يشرب الخمر. حتى أنه صلى بهم مرة الصبح أربعا، ثم قال: أزيدكم؟ فقال ابن مسعود: «ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة»[2].

٣- وجاء عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يحث على الجهاد أيام المأمون والمعتصم في قتال بابك الخرمي[3].

٤- قال الإمام ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد أجمعت العلماء من أهل الفقه والعلم والنساك والعباد والزهاد من أول هذه الأمة إلى وقتنا هذا: أن صلاة الجمعة والعيدين ومنى وعرفات والغزوَ والجهاد والهَدْيَ مع كل أمير بَرٍّ أو فاجر»[4].

٥- ولأنَّ مخالفتهم في ذلك تُوجِب شق عصا المسلمين، والتمرد على الأئمة، ووقوع الفتن.

---

(١) ينظر: صحيح البخاري (١٦٦٢)، و«البداية والنهاية» (١٢/ ٥١٦، و ٥٤٣).

(٢) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٤/ ١٥٥٤).

(٣) ينظر: «جامع علوم الإمام أحمد» (٤/ ٥٩١).

(٤) «الشرح والإبانة» ص ٢٧٩.

المبحث الرابع: الخروج على الإمام:

الخروج على الإمام معناه: التمرد وشق عصا الطاعة، أو التأليب عليه والتنفير منه، أو مواجهته بالسلاح والقتال بغير وجه حق.

ويختلف حكم الخروج بحسب الإمام، ولا يخلو من ثلاثة أحوال:

- **الأول: الإمام العادل المقسط:**

فهذا يحرم الخروج عليه مطلقا باتفاق العلماء، يدل على ذلك النصوص الآمرة بالطاعة لأولي الأمر من المسلمين، والنصوص الواردة في وجوب الوفاء بالبيعة.

- **الثاني: الحاكم الكافر المرتد:**

وهذا متفق على وجوب الخروج عليه بشرط القدرة؛ لما سيأتي.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينعزل الحاكم بالكفر إجماعًا، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك، فمن قوي على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض»[1].

- **الثالث: الحاكم الظالم:**

مذهب غالب أهل السنة والجماعة أنه لا يجوز الخروج على أئمة الظلم والجور بالسيف، ما لم يصل بهم ظلمهم وجورهم إلى الكفر البواح، أو ترك الصلاة.

---

(١) «فتح الباري» (١٣/١٢٣).

ودل على ذلك أدلة، منها:

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**دَعانا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبايَعْناهُ، فكانَ فِيما أَخَذَ عَلَيْنا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ. قَالَ: (إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ)**»[1].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ، فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[2].

وعن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»[3].

وبالنظر إلى التاريخ والوقائع يتجَلَّى أن الصبر خير من الخروج؛ لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدَّهْماء.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٠٥٤) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٨٤٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١٨٥٥).

قال عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِمامٌ ظَلُومٌ غَشُومٌ خَيْرٌ مِنْ فِتْنةٍ تَدُومُ»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تَوَلَّد على فِعلِه مِن الشر أعظمَ مما توَلَّد من الخير»[2].

(١) «تاريخ دمشق» (٤٦/١٨٤).

(٢) «منهاج السنة» (٤/٥٢٨).

المقطع السادس عشر

البدعة والمبتدعة

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَمِنَ السُّنَّةِ: هِجْرَانُ أَهْلِ البِدَعِ، وَمُبَايَنَتُهُم، وَتَرْكُ الجِدَالِ والْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ، وَتَرْكُ النَّظَرِ فِي كُتُبِ الْمُبْتَدِعَةِ، وَالإِصْغَاءِ إِلىٰ كَلَامِهِم.

وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ فِي الدِّينِ بِدْعَةٌ.

وَكُلُّ مُتَسَمٍّ بِغَيْرِ الإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ مُبْتَدِعٌ؛ كَالرَّافِضَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْخَوَارِجِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَالْمُرْجِئَةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْكَرَّامِيَّةِ، والْكُلَّابِيَّةِ، وَنُظَرَائِهِم، فَهٰذِهِ فِرَقُ الضَّلَالِ وَطَوَائِفُ الْبِدَعِ أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهَا».

الشرح:

الكلام على هذا المقطع في أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف البدعة، والتحذير منها:

البدعة مأخوذة من مادة (بَدَعَ)، ومعناها: اختراع شيء على غير مثال سابق[1].

ومنه قول الله - تعالى -: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١١٧]، أي:

(١) ينظر: «مقاييس اللغة» (١/٢٠٩)، مادة «بدع».

مخترعُها من غير مثال سابق متقدم، وقولُه تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٩]، أي: ما كنت أوَّلَ من جاءَ بالرسالة من الله إلى العباد، بل تقدمني كثير من الرسل.

واصطلاحا: التعبد لله - تعالى - بما لم يَشْرَعْه.

والذي شرَعَه هو ما جاء في الكتاب والسنة، أو كان عليه الخلفاء الراشدون. قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

وقال النبي ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

وتكاثرت الأدلة في التحذير والتنفير منها، ومن ذلك:

قولُ الله - تعالى -: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فالصراط المستقيم: هو سبيل الله الذي دعا إليه، وهو السُّنَّة، والسُّبُل: هي سُبُل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم، وهم أهل البدع.

---

(١) تقدم تخريجه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

قال ابن عطيَّة: «هذه الآية تَعُمُّ أهلَ الأهواء والبدع والشذوذ في الفروع، وغيرَ ذلك من أهل التعمُّقِ في الجدال والخوض في الكلام»(١).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»(٢).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «اتَّبِعُوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفِيتم»(٣).

المبحث الثاني: موقف المسلم تجاه البدعة والمبتدعة:

الواجب على المسلم الحرصُ على الاتِّباع، والحذر من الابتداع؛ فالدين قد كمل، والحمد لله.

قال ابن الماجِشُون: سمعت مالكا يقول: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أنَّ محمدا ﷺ خان الرسالة؛ لأنَّ الله يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذ دينا، فلا يكون اليوم دينا»(٤).

---

(١) «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٨٧).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٣) أخرجه الدارمي في سننه (٢١١)، والطبراني في «الكبير» (٨٧٧٠).

(٤) «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٦٤).

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَمِنَ السُّنَّةِ: هِجْرَانُ أَهْلِ البِدَعِ، وَمُبَايَنَتُهُم، وَتَرْكُ الجِدَالِ والْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ، وَتَرْكُ النَّظَرِ فِي كُتُبِ الْمُبْتَدِعَةِ، وَالإِصْغَاءِ إِلَىٰ كَلَامِهِم».

الهِجْران: مصدر هَجَر، وهو لغة: الترك[1].

والمراد بهِجْران أهل البدع: الابتعاد عنهم، وترك محبتهم، وموالاتهم، ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨].

ومِن هَجْر أهل البدع: تركُ النظر في كتبهم، أو دخول مواقعهم، أو متابعة حساباتهم؛ خوفا من الفتنة بها، أو ترويجها بين الناس؛ فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب.

وهِجران أهل البدع واجب؛ لأن النبي ﷺ هَجَر كعب بن مالك، وصاحبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حين تخلفوا عن غزوة تبوك[2].

قال الإمام البغوي عَقِب الحديث: «فيه دليل على أنَّ هِجران أهل البدع على التأبيد ... وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم، وعلماء السنة على هذا مُجمِعين متفقين على معاداة أهل البدعة، ومهاجرتهم.

---

(١) ينظر: «مقاييس اللغة» (٦/ ٣٤)، مادة (هجر).

(٢) ينظر: صحيح البخاري (٤٤١٨) وأطرافه، ومسلم (٧١٦).

قال ابن عمر في أهل القَدَر: أخبرهم أني بريء منهم، وأنهم مني براء[1].

وقال أبو قلابة: لا تجالسوا أصحاب الأهواء - أو قال: أصحاب الخصومات -؛ فإني لا آمن أن يغمِسُوكم في ضلالتهم، ويَلْبِسُوا عليكم بعض ما تعرفون»[2].

ويشهد لهذا: قولُه ﷺ في الدجال: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ**»[3].

لكن إن كان في مجالستهم مصلحة؛ لتبيين الحق لهم، وتحذيرهم من البدعة فلا بأس بذلك، وربما يكون ذلك مطلوبا؛ لقوله تعالى: ﴿**ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ**﴾[النحل:١٢٥]. ويكون ذلك بوسائل؛ منها: المجالسة، والمشافهة، والمكاتبة.

ولْيحذرِ العبد من التساهل في مطالعة كتبهم ومقالاتهم، إلا إن كان الغرض من ذلك معرفةَ بدعتهم للرد عليها، فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به، وكان قادرا على الرد عليهم، بل ربما كان واجبا؛ لأن رد البدعة واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

---

(١) ينظر: صحيح مسلم رقم (٨).

(٢) «شرح السنة» للبغوي (١/ ٢٢٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٣١٩) واللفظ له، وأحمد (١٩٨٧٥)، وصححه الألباني.

المبحث الثالث: الجدال في الدين:

قال: «وَمِنَ السُّنَّةِ: هِجْرَانُ أَهْلِ البِدَعِ، وَمُبَايَنَتُهُم، وَتَرْكُ الجِدَالِ والْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ».

الجِدال: مصدر جادل، والجَدَل: منازعة الخصم للتغَلُّب عليه(١).

والخِصام: المُجادَلة، فهما بمعنى واحد(٢).

وينقسم الخصام والجدال في الدين إلى قسمين:

الأول: جدال محمود:

وهو كل جدال أيَّدَ الحقَّ أو أوصل إليه بنِيَّة خالصة وطريق صحيح. ويكون بالحسنى؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، وقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦].

وهذا مأمور به إما وجوبا، أو استحبابا بحسب الحال؛ لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

ومن أمثلته: مجادلة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا للخوارج، حيث رجع منهم عدد كثير(٣).

---

(١) ينظر: «لسان العرب» (١١/ ١٠٥)، مادة: «جدل».

(٢) ينظر: «لسان العرب» (١٢/ ١٨٠)، مادة: «خصم».

(٣) القصة أخرجها عبد الرزاق في مصنفه (١٨٦٧٨)، والحاكم (٢٦٥٦)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

الثاني: جدال مذموم:

وهو كل جدال خالف الصواب في مقصده أو طريقته.

كمن يجادل؛ نُصرةً للباطل، أو انتصارا للنفس، أو على غير علم وبصيرة، فهذا قبيح منهي عنه؛ لقوله تعالى: ﴿**مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾ [غافر:٤]، وقولِه: ﴿**وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**﴾ [غافر:٥].

وعن أبي أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ**»، ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْلَهُ تَعالى: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾ [الزخرف: ٥٨][(١)].

المبحث الرابع: التعريف بأشهر البدع:

ذكر المؤلف ثماني فِرَق من أشهر البدع في الإسلام، وسنعرض لها باختصار:

- **الأولى: الرافضة:**

وهم الذين يَغْلُون في آل البيت[(٢)]، ويُكفِّرون من عداهم من الصحابة، أو يُفَسِّقُونهم، وهم فِرَق شتى فمنهم الغلاة الذين ادَّعَوا أنَّ عليا إله، ومنهم دون ذلك.

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨)، وأحمد (٢٢١٦٤)، وحسنه الألباني.

(٢) تنبيه: الفرق بين السُّنة والرافضة في مصطلح «آل البيت»:

وأول ما ظهرت بدعتهم في خلافة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال له عبد الله بن سبأ: أنت الإله، فأمر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإحراقهم، وهرب زعيمُهم عبد الله بن سبأ إلى المدائن(١).

وسُمُّوا رافضةً؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حين سألوه عن أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فترحَّم عليهما، فرفضوه وفارقوه.

وسموا أنفسهم شيعة؛ لأنهم يزعمون أنهم يتشيعون لآل البيت، وينتصرون لهم، ويطالبون بحقهم في الإمامة.

• الصحيح أن المراد بآل بيت النبي ﷺ أزواجُه وذريته، وقرابته المسلمون الذين تحرم عليهم الصدقة، كما قال ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ، وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ**» [أخرجه مسلم (١٠٧٢)]، وهم بنو هاشم، ولم يبقَ لهاشم عَقِب إلا مِن جهة ابنه عبد المطلب فقط. فبنو هاشم صفوة قريش.

فالحاصل: أنَّ آل بيته ﷺ هم أزواجه وذريته، ومن كان مِن نَسْل عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وهؤلاء هم أشراف الناس.

• وجمهور الشيعة يرون: أن المراد بأهل البيت هم أصحاب الكساء الخمسة، الذين نزلت فيهم آية التطهير، وبقية الأئمة الاثني عشر.

(١) ينظر: «تاريخ دمشق» (٢٩/ ٩).

- **الثانية: الجَهْمية:**

الجهمية: نسبة إلى الجَهم بن صفوان، الذي قتلَه سَلْمُ بن أَحْوَزَ سنة إحدى وعشرين ومئة من الهجرة[1].

ومذهبهم في الصفات: التعطيل والنفي، وفي القدر: القولُ بالجبر، وفي الإيمان: القول بالإرجاء، وهو أن الإيمان مجرد الإقرار بالقلب وليس القولُ والعملُ من الإيمان، ففاعل الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان؛ فهم معطِّلة، جبرية، مرجئة، وهم فرق كثيرة.

- **الثالثة: الخوارج:**

وهم الذين خرجوا لقتال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسبب التحكيم.

ومذهبهم التبرؤ من عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والخروج على الإمام إذا خالف السنة، وتكفير فاعل الكبيرة، وتخليده في النار، وهم فرق عديدة.

- **رابعا: القدرية:**

وهم الذين يقولون بنفي القدر عن أفعال العبد، وأن للعبد إرادة وقدرة مُستَقِلَّتَين عن إرادة الله وقدرته، وأول من أظهر القولَ به معبدُ الجُهَني في أواخر عصر الصحابة، تلقَّاه عن رجل مجوسي في البصرة.

---

(١) ينظر: «خلق أفعال العباد» للإمام البخاري ص ٤٠، و«الإبانة الكبرى» لابن بطة رقم (٣٢٥).

- **خامسا: المرجئة:**

وهم الذين يقولون بإرجاء العمل عن الإيمان، أي: تأخيره عنه؛ فليس العمل عندهم من الإيمان، والإيمان مجرد الإقرار بالقلب، فالفاسق عندهم مؤمن كامل الإيمان، وإن فعل ما فعل من المعاصي أو ترك ما ترك من الطاعات، وإذا حكمنا بكفر من ترك بعض شرائع الدين فذلك لعدم الإقرار بقلبه لا لترك هذا العمل، وهذا مذهب الجهمية – كما سبق –، وهو مع مذهب الخوارج على طرَفَي نقيضٍ.

- **سادسا: المعتزلة:**

المعتزلة: أتباع واصِل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وقرَّر أنَّ الفاسق في منزلة بين منزلتين، لا مؤمن ولا كافر، وهو مخلد في النار، وتابعه في ذلك عمرو بن عبيد.

ومذهبهم في الصفات: التعطيل – كالجهمية –، وفي القَدَر: قَدَرية ينكرون تعلُّقَ قضاء الله وقدَرِه بأفعال العبد، وفي فاعل الكبيرة: أنه مخلد في النار وخارج من الإيمان في منزلة بين منزلتين: الإيمان والكفر، وهم عكس الجهمية في هذين الأصلين.

- **سابعا: الكرَّامية:**

الكرَّامية: أتباع محمد بن كَرَّام المتوفى سنة خمس وخمسين ومئتين من الهجرة، يميلون إلى التشبيه في الصفات، والقول بالإرجاء وهم طوائف متعددة.

ثامنا: الكُلَّابية:

وهم أتباع عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب، الذين نفوا بعض الصفات، وأثبتوا بعضها، فيثبتون سبع صفات، وهي: السمع، والبصر، والكلام، والحياة، والقدرة، والإرادة، والعلم.

المقطع السابع عشر

الخلاف في الفروع

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ إِمَامٍ فِي فُرُوعِ الدِّينِ؛ كَالطَّوَائِفِ الْأَرْبَعِ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ، فَإِنَّ الاخْتِلَافَ فِي الْفُرُوعِ رَحْمَةٌ، وَالْمُخْتَلِفُونَ فِيهِ مَحْمُودُونَ فِي اخْتِلَافِهِمْ، مُثَابُونَ فِي اجْتِهَادِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ، وَاتِّفَاقُهُمْ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْصِمَنَا مِنَ الْبِدَعِ وَالْفِتْنَةِ، وَيُحْيِيَنَا عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، وَيَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَتَّبِعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الحَيَاةِ، وَيَحْشُرَنَا فِي زُمْرَتِهِ بَعْدَ المَمَاتِ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ، آمِينَ.

وَهَٰذَا آخِرُ الْمُعْتَقَدِ.

وَالْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا».

الشرح:

هذا المقطع في الخلاف في مسائل الفروع، وقرَّر المؤلف أن الخلاف فيه ليس بمذموم كالخلاف في أصول الدين.

وفي هذا المقطع أربعة مباحث:

المبحث الأول: تقسيم الدين إلى أصول وفروع:

اشتهر هذا التقسيم في كلام أهل العلم، وينبغي أن يُقرر أمران:

الأول: أن هذا التقسيم حادث لم يكن في القرون المفضلة، وأوَّلُ من أحدثه المتكلمون من المعتزلة، وتابَعهم كثير من أهل السنة في مصنفاتهم.

الثاني: اختلف القائلون بهذا التقسيم في ضابط الفرق بين الأصول والفروع، فقال بعضهم:

١- أصول الدين هي: المسائل العلمية (الاعتقادية)، والفروع: المسائل العملية.

فيقال: ينبني على هذا الضابط أن مسألة: إثبات أو نفي رؤية النبي ﷺ لربِّه، ومسألة: المفاضلة بين عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، هما من أصول الدين؛ لأنهما مسألتان عِلميتان.

وتكون فريضة الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وتحريم الزنا، والربا، وشرب الخمر، من فروع الدين؛ لأنها مسائل عملية. وهذا ظاهر الفساد!.

٢- أصول الدين هي: المسائل القطعية، والفروع: المسائل الظنية.

وهذا فاسد أيضا؛ لأن كثيرا من مسائل العمل قطعية، وكثيرا من مسائل العِلم ظنية ليست قطعية.

وهنا يأتي سؤال: هل يُرَدُّ هذا التقسيمُ جملة ويكون باطلا؟

الجواب: لا؛ لأن هذه مسألة اصطلاحية، ولا مشاحة في الاصطلاح. بشرط أن يضبط بضابط صحيح تترتب عليه لوازم صحيحة، فهي مسألة اصطلاحية وليست من أصول أهل السنة في تقرير مسائل العقيدة.

ويمكن أن يقال في ضابط التمييز بين الأصول والفروع:

كل ما كان جليلا من المسائل، فهو من الأصول، وما كان دقيقا منها، فهو من الفروع، سواء كان أمرا علميا أو عمليا.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحق أن الجليل من كل واحد من الصنفين [أي: العلمي والعملي] مسائل أصول، والدقيق مسائل فروع. فالعلم بوجوب الواجبات؛ كمباني الإسلام الخمس، وتحريم المحرَّمات الظاهرة المتواترة، كالعلم بأن الله على كل شيء قدير وبكل شيء عليم، وأنه سميع بصير، وأن القرآن كلام الله، ونحو ذلك من القضايا الظاهرة المتواترة؛ ولهذا من جحد تلك الأحكام العملية المُجمع عليها كفر، كما أن من جَحَد هذه كفر»[1].

وابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كلام في نقد هذا التقسيم والحكم عليه بالبطلان والبدعة، وفي مواضع استعمله، والجمع بين ذلك أن كلامه في نقده ليس راجعا

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/٥٦-٥٧).

إلى أصل التقسيم ، وإنما إلى تفاصيله، إما من جهة الضابط، أو من جهة الحكم المترتب عليه، كما حقق ذلك بعض الباحثين.

المبحث الثاني: الخلاف في الفروع:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ إِمَامٍ فِي فُرُوعِ الدِّينِ كَالطَّوَائِفِ الْأَرْبَعِ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ؛ فَإِنَّ الاخْتِلَافَ فِي الْفُرُوعِ رَحْمَةٌ، وَالْمُخْتَلِفُونَ فِيهِ مَحْمُودُونَ فِي اخْتِلَافِهِمْ، مُثَابُونَ فِي اجْتِهَادِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ».

الفروع جمع فرع، وهو لغة: ما بني على غيره(١).

ويراد به هنا: ما لا يتعلق بالعقائد كمسائل الطهارة، والصلاة ونحوها.

والاختلاف فيها ليس بمذموم متى كان صادرا عن نية خالصة واجتهاد، لا عن هوى وتعصب؛ لأنه وقع في عهد النبي ﷺ ولم ينكرْه.

ومن أمثلته: أنه ﷺ قال في غزوة بني قريظة: «**لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**»، فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ العَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ(٢).

---

(١) «التعريفات» ص ١٦٦.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٩٤٦، و٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠)، من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ولأن الاختلاف فيها موجود في الصحابة وهم خير القرون، ولأنه لا يورث عداوة، ولا بغضاء، ولا تفَرُّقَ كلمة، بخلاف الاختلاف في الأصول.

وقول المؤلف: «وَالْمُخْتَلِفُونَ فِيهِ مَحْمُودُونَ فِي اخْتِلَافِهِمْ»، ليس ثناء على الاختلاف؛ فإن الاتفاق خيرٌ منه. وإنما المراد به: نفيُ الذَّمِّ عنهم، وأن كل واحد محمود على ما قال؛ لأنه مجتهد فيه، مريد للحق؛ فهو محمود على اجتهاده واتباع ما ظهر له من الحق، وإن كان قد لا يصيب الحق.

وقوله: «فَإِنَّ الاخْتِلَافَ فِي الْفُرُوعِ رَحْمَةٌ، وَالْمُخْتَلِفُونَ فِيهِ مَحْمُودُونَ فِي اخْتِلَافِهِمْ، مُثَابُونَ فِي اجْتِهَادِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ»، يتعلق بها مسألتان:

الأولى: من جهة الأثر:

حيث يُروى في ذلك حديث مشهور، وينسب إلى النبي ﷺ أنه قال: «**اخْتِلافُ أُمَّتِيْ رَحْمَةٌ**»[1]. وهذا الحديث لا أصل له، أي: ليس له سند. ولقد جهِد المحدثون في أن يقفوا له على سند فلم يوفَّقوا.

قال السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس بمعروف عند المحدثين، ولم أقف له على سند صحيح، ولا ضعيف، ولا موضوع»[2].

---

(١) **لا أصل له**. وينظر في الكلام عليه: «السلسلة الضعيفة» رقم (٥٧).

(٢) «فيض القدير» (١/ ٢٠٩).

الثانية: من جهة المعنى:

أي: إذا تقرر عدم ثبوت اللفظ السابق، فهل يصح هذا المعنى؟

يرى المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ صحة هذا المعنى، كما هو واضح في صريح كلامه.

فيكون اختلاف الأئمة رحمة، أي: داخل في رحمة الله وعفوه؛ حيث لم يكلِّفْهُم أكثر مما يستطيعون، ولم يُلْزِمْهم بأكثر مما ظهر لهم، فليس عليهم حرج في هذا الاختلاف، بل هم فيه داخلون تحت رحمة الله وعفوِه، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد.

وبهذا يندفع الإيراد الذي أورده بعضهم، فقال: إذا كان الاختلاف رحمة؛ فيكون الاتفاقُ عذابا وسخطا!.

وهذا غير وارد؛ لأن الاتفاق رحمة وخير، لكن لأجل ألا يُفهم من كون الاتفاق رحمة أن الاختلاف عذاب، قيل: والاختلاف أيضا في الحدود السابقة رحمة أيضا؛ لما سبق تقريره.

وينبغي أن يُفرَّق بين الاختلاف والتَّفَرُّق؛ فالاختلاف في الرأي قد يكون سائغا مقبولا، وقد لا يكون كذلك، والمحذور أن يصل الاختلاف إلى الفرقة والعداوة.

فهاهم أصحاب رسول الله ﷺ، ومن تبعهم بإحسان؛ اختلفوا في أحكام الدين، ولم يتفرقوا ولا صاروا شيعا؛ لوفور علمهم ودينهم، وحسن قصدهم.

قال يونس الصدفي: «ما رأيت أعقل من الشافعي؛ ناظرته يوما في مسألة، ثم افترقنا، ولقِيَني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانا، وإن لم نتفق في مسألة؟»[1].

المبحث الثالث: الإجماع والاتفاق:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَاتِّفَاقُهُمْ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ».

الإجماع لغة: العزم والاتفاق[2].

واصطلاحا: اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من العصور على حكم شرعي.

واختار شيخ الإسلام في «الواسطية» أن الإجماع الذي ينضبط هو: ما كان عليه السلف الصالح؛ إذ بعدهم كَثُر الاختلاف وانتشرت الأمة[3].

(١) «تاريخ دمشق» (٥١/ ٣٠٢).

(٢) ينظر: «تاج العروس» (٢٠/ ٤٦٩)، مادة «جمع».

(٣) «العقيدة الواسطية بتعليق ابن مانع» ص ٢٨.

وهو حجة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء: ١١٥].

وقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلاَلَةٍ»(١).

قال عطاء بن أبي رباح: «ما اجتمعت عليه الأمة أقوى عندنا من الإسناد»(٢).

المبحث الرابع: المذاهب الأربعة:

الأول: المذهب الحنفي: وإمامه أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام أهل العراق، ولد سنة ثمانين من الهجرة، وتوفي سنة خمسين ومئة من الهجرة.

الثاني: المذهب المالكي: وإمامه أبو عبد الله مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، ولد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة، وتوفي سنة تسع وسبعين ومئة من الهجرة.

الثالث: المذهب الشافعي: وإمامه أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ولد سنة خمسين ومئة من الهجرة، وتوفي سنة أربع ومئتين من الهجرة.

الرابع: المذهب الحنبلي: وإمامه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، ولد سنة أربع وستين ومئة من الهجرة، وتوفي سنة إحدى وأربعين ومئتين من الهجرة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢١٦٧)، وصححه الألباني، وله شواهد كثيرة.

(٢) «حلية الأولياء» (٣/ ٣١٤).

وهناك مذاهب أخرى كمذهب الظاهرية، والزيدية، والسفيانية، وغيرهم، وكل يؤخذ من قوله ما كان صوابا، ويترك من قوله ما كان خطأ، ولا عصمة إلا في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

ثم ختم الشيخ كتابه النافع داعيا ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فقال: «نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْصِمَنَا مِنَ الْبِدَعِ وَالْفِتْنَةِ، وَيُحْيِينَا عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَةِ، وَيَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَتَّبِع رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الحَيَاةِ، وَيَحْشُرَنَا فِي زُمْرَتِهِ بَعْدَ المَمَاتِ، بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ .. آمِينَ».

والحمد لله أولا وآخرا، وظاهر وباطنا،

وصلَّى الله وسلم على نبيه محمد وآله وصحبه.

فهرس موضوعات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
التمهيد	٥
• المبحث الأول: علم العقيدة	٥
المطلب الأول: معنى العقيدة في اللغة والاصطلاح	٥
المطلب الثاني: أسماء علم العقيدة	٦
المطلب الثالث: أهمية علم العقيدة	٧
المطلب الرابع: حكم تعلُّم علم العقيدة	٩
• المبحث الثاني: أهل السنة والجماعة	٩
المطلب الأول: معنى السنة والجماعة	٩
المطلب الثاني: خصائص عقيدة أهل السنة والجماعة	١١
• المبحث الثالث: التعريف بالمؤلف والكتاب	١٢
المطلب الأول: ترجمة المؤلف	١٢
المطلب الثاني: التعريف بالكتاب	١٤
المقطع الأول	١٧
المسألة الأولى: البدء بالبسملة	١٨
المسألة الثانية: الثناء على الله – تعالى –	١٩

المسألة الثالثة: تنزيه الله – تعالى –	٢١
المسألة الرابعة: إثبات الأسماء الحسنى، والصفات العلى	٢٢
قواعد تأصيلية في باب الأسماء والصفات	٢٣
المقطع الثاني	٤٠
• **المبحث الأول: الواجب في صفات الله - تعالى - الواردة في القرآن أو صحيح السنة**	٤٤
الفِرَق المنحرفة في باب الأسماء والصفات كثيرة، لكن يُمكِن ردُّها إلى طائفتين	٤٥
تنبيهان مهمان:	٥٠
الأول: حقيقة الإشكال في النصوص الشرعية	٥٠
الثاني: حول قول المؤلف: «وَجَبَ إِثْبَاتُهُ لَفْظًا، وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمَعْنَاهُ»	٥٠
• **المبحث الثاني: المحكم والمتشابه**	٥٣
• **المبحث الثالث: معنى التأويل**	٥٨
المقطع الثالث: ذكر بعض صفات الله – تعالى – بأدلتها	٦٨
تنبيه: وقع الانحراف في صفة العلو على مذهبين	٨٩
فائدة: معنى الحلول والاتحاد، والفرق بينهما (الهامش)	٨٩
الحديث عن صفة الكلام في مبحثين:	٩٢
• **المبحث الأول: عقيدة أهل السنة والجماعة في صفة الكلام**	٩٤
• **المبحث الثاني: الأدلة على صفة الكلام**	٩٥
المقطع الرابع	٩٧
• **المبحث الأول: عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم**	١٠٠

• المبحث الثاني: الدليل على أن القرآن حروف وكلمات	١٠٢
• المبحث الثالث: أوصاف القرآن	١٠٥
المقطع الخامس: حول رؤية الله - تعالى -	١٠٧
المقطع السادس	١١١
• المبحث الأول: معنى الإيمان بالقدر، وحكمه، وأدلته	١١٣
• المبحث الثاني: معنى الخير والشر في قدر الله	١١٤
• المبحث الثالث: أركان الإيمان بالقدر	١١٥
• المبحث الرابع: أنواع التقدير	١١٧
• المبحث الخامس: الاحتجاج بالقدر	١١٩
• المبحث السادس: المخالفون في باب القضاء والقدر	١٢١
• المبحث السابع: أقسام الإرادة والفرق بينها	١٢٢
المقطع السابع	١٢٤
• المبحث الأول: معنى الإيمان وأهميته	١٢٥
• المبحث الثاني: الفرق بين الإسلام والإيمان	١٢٨
• المبحث الثالث: مراتب الإيمان وأركانه	١٣٠
• المبحث الرابع: زيادة الإيمان ونقصانه	١٣٢
أسباب زيادة الإيمان	١٣٤
مظاهر ضعف الإيمان	١٣٩
المقطع الثامن	١٤١

• **المبحث الأول: الإسراء والمعراج**	١٤٥
• **المبحث الثاني: قصة ملك الموت مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ**	١٤٧
• **المبحث الثالث: أشراط الساعة**	١٤٨
فائدة: في ترتيب أشراط الساعة	١٥٨
• **المبحث الرابع: فتنة القبر**	١٥٩
المطلب الأول: المراد بفتنة القبر	١٥٩
المطلب الثاني: الأدلة على فتنة القبر	١٥٩
المطلب الثالث: عموم فتنة القبر	١٦٠
• **المبحث الخامس: عذاب القبر ونعيمه**	١٦١
المطلب الأول: حكم الإيمان به، ودليله	١٦١
المطلب الثاني: صفة عذاب القبر، ونعيمه	١٦١
• **المبحث السادس: النفخ والبعث**	١٦٦
المطلب الأول: النفخ في الصور	١٦٦
المطلب الثاني: البعث	١٦٩
• **المبحث السابع: الحشر والموقف**	١٧١
• **المبحث الثامن: الشفاعة العظمى**	١٧٤
• **المبحث التاسع: الحساب ونشر الدواوين وتطاير الصحف**	١٨٠
المطلب الأول: معنى الحساب، والأدلة عليه	١٨٠
المطلب الثاني: أحوال الناس في الحساب	١٨١

المطلب الثالث: أوَّليات في الحساب	١٨٣
المطلب الرابع: عمَّ يكون الحساب؟	١٨٤
المطلب الخامس: ماذا بعد الحساب؟	١٨٥
• **المبحث العاشر: الموازين**	١٨٧
المطلب الأول: معناه ودليله	١٨٧
المطلب الثاني: صفة الميزان	١٨٨
المطلب الثالث: ما الذي يوزن في الميزان؟	١٨٩
المطلب الرابع: أمثلة على مثقلات الميزان	١٩٠
• **المبحث الحادي عشر: الحوض**	١٩٠
المطلب الأول: معناه، والدليل عليه	١٩٠
المطلب الثاني: صفته	١٩١
• **المبحث الثاني عشر: الصراط**	١٩٣
المطلب الأول: معنى الصراط، وأدلته	١٩٣
المطلب الثاني: صفة الصراط	١٩٣
المطلب الثالث: عبور الصراط	١٩٥
المطلب الرابع: القنطرة	١٩٨
• **المبحث الثالث عشر: الجنة والنار**	١٩٩
المطلب الأول: معناهما، ووجودهما	١٩٩
المطلب الثاني: مكان الجنة والنار	٢٠٠

المطلب الثالث: أهل الجنة وأهل النار	٢٠١
المطلب الرابع: ذبح الموت	٢٠٢
المقطع التاسع بعض حقوق النبي ﷺ، وخصائصه	٢٠٣
• **المبحث الأول: خصائص النبي ﷺ**	٢٠٤
المبحث الثاني: حقوق النبي ﷺ	٢٠٨
المقطع العاشر: فضائل الصحابة رضي الله عنهم	٢١١
• **المبحث الأول: تعريف الصحابي**	٢١٣
• **المبحث الثاني: فضل الصحابة**	٢١٣
• **المبحث الثالث: أفضل الصحابة**	٢١٣
المقطع الحادي عشر: الشهادة بالجنة أو بالنار	٢٢٠
• **المبحث الأول: تأصيل المسألة**	٢٢١
• **المبحث الثاني: أمثلة على من شهد له الشرع بالجنة أو بالنار**	٢٢٣
المقطع الثاني عشر: الموقف من عُصاة أهل القبلة	٢٢٧
• **المبحث الأول: معنى الكفر وأنواعه**	٢٢٨
• **المبحث الثاني: الفرق بين الكفر، و الشرك، والنفاق**	٢٣٠
• **المبحث الثالث: عقيدة أهل السنة في مرتكب الكبيرة**	٢٣١
المقطع الثالث عشر: حقوق الصحابة رضي الله عنهم وفضلهم	٢٣٥
• **المبحث الأول: حقوق الصحابة**	٢٣٦
• **المبحث الثاني: فضل الصحابة**	٢٣٩

- المبحث الثالث: حكم سب الصحابة ٢٤١

المقطع الرابع عشر: حقوق زوجات النبي ﷺ ٢٤٤

- المبحث الأول: بيان زوجات النبي ﷺ ٢٤٤
- المبحث الثاني: فضل زوجات النبي ﷺ ٢٤٩
- المبحث الثالث: قذف أمهات المؤمنين ٢٤٩
- المبحث الرابع: معاوية بن أبي سفيان ٢٥٠

المقطع الخامس عشر: حقوق أئمة المسلمين ٢٥٢

- المبحث الأول: منصب الإمامة ٢٥٢
- المبحث الثاني: حكم الإمامة، وبم تحصل ٢٥٣
- المبحث الثالث: من حقوق إمام المسلمين ٢٥٦
- المبحث الرابع: الخروج على الإمام ٢٦٢

المقطع السادس عشر: البدعة والمبتدعة ٢٦٥

- المبحث الأول: تعريف البدعة، والتحذير منها ٢٦٥
- المبحث الثاني: موقف المسلم تجاه البدعة والمبتدعة ٢٦٧
- المبحث الثالث: الجدال في الدين ٢٧٠
- المبحث الرابع: التعريف بأشهر البدع ٢٧١

المقطع السابع عشر: الخلاف في الفروع ٢٧٦

- المبحث الأول: تقسيم الدين إلى أصول وفروع ٢٧٧
- المبحث الثاني: الخلاف في الفروع ٢٧٩

• المبحث الثالث: الإجماع والاتفاق	٢٨٢
• المبحث الرابع: المذاهب الأربعة	٢٨٣
فهرس موضوعات الكتاب	٢٨٥

تم بحمد الله تعالى

●●●